

هَدَىٰ آيَاتٍ

الآيَاتِ الْآخِرِ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ

مُحَمَّدُ بْنُ سِنْدِ الزَّهْرَانِيِّ



الدرس الأول: فضل خواتيم سورة البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

❖ **من المعلوم عند عموم المسلمين أن سورة البقرة لها شأن عظيم، ومكانة رفيعة، ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وصفها بأنها سنام القرآن، وسنام الشيء: أرفعه وأعلاه، فقد جاء عنه -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا، وَإِنَّ سَنَامَ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ».**

❖ **ومن جملة فضائل هذه السورة المباركة: أن فيها أعظم آية في كتاب الله، وهي آية الكرسي.**

❖ **ومن فضائل هذه السورة المباركة: ما ختمت به من آيات عظيمة كريمة. فسورة البقرة هي أجمع سور القرآن لأحكام الدين ومسائل الشرع وقواعد الإيمان وأصوله، وتقرير شواهد، وحججه وبراهينه.**

❖ **وفيها أيضا: أقسام الناس؛ أهل الإيمان، وفيها أهل الشرك والكفر بالله -سبحانه وتعالى-. وفيها: المناظرة مع أهل الكتابين اليهود والنصارى.**

ثم إنها ختمت بآيات لها شأن عظيم، ومكانة رفيعة، جمعت مع فضل في السورة، فكان سورة البقرة ختمت بآيات تجمع ما جاء مفصلاً فيها، مقررًا في ثناياها، وهذا مما يدل على المكانة العظيمة والمنزلة الرفيعة التي تتبوؤها الآيات الواردة من حاتمة هذه السورة العظيمة المباركة.



﴿جَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: «بَيْنَمَا جِرِيْلُ قَاعِدٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذْ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ»؛ أَي: سَمِعَ صَوْتًا مِنْ جِهَةِ الْعُلُوِّ، «فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتَحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزَلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبَشِرْ بِنُورَيْنِ أَوْتِيَتْهُمَا لَمْ يُؤْتِيَتْهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَإِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ.»

وَانظُرْ - يَا رَعَاكَ اللَّهُ - لِقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ: «نُورَيْنِ»، هَذَا يَدُلُّ عَلَى فَضِيلَةِ عَظِيمَةِ لِسُورَةِ الْفَاتِحَةِ وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَالْقُرْآنُ كُلُّهُ نُورٌ.

❖ لَكِنَّ تَخْصِيصَ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ وَالْآيَاتِ الَّتِي خُتِمَتْ بِهَا سُورَةُ الْبَقَرَةِ بِهَذَا الْوَصْفِ:

❖ **أَوَّلًا:** يَدُلُّ عَلَى مَزِيدِ الْفَضْلِ وَمَزِيدِ النُّورِ.

❖ **ثَانِيًا:** وَيَدُلُّ عَلَى التَّفَاضُلِ بَيْنَ آيَاتِ الْقُرْآنِ فِي الْفَضْلِ وَالنُّورِ الْمَكَانَةِ وَالْمَنْزِلَةَ. ثُمَّ فَضِيلَةُ أُخْرَى «أَوْتِيَتْهُمَا لَمْ يُؤْتِيَتْهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ»، فِيهَا الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُعْطَ نَبِيٌّ قَبْلَ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْفَاتِحَةَ، وَلَمْ يُعْطَ أَيضًا قَبْلَهُ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي جَاءَتْ مَحْتَمَةً بِهَا سُورَةُ الْبَقَرَةِ.

❖ **الْفَائِدَةُ الثَّلَاثَةُ:** فِي قَوْلِهِ: «وَإِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ»، بَيَانٌ لِلثَّوَابِ الْعَظِيمِ وَالْأَجْرِ الْجَزِيلِ الَّذِي يُكْرِمُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بِهِ مَنْ يَقْرَأُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، وَمَنْ يَقْرَأُ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَمَنْ يُحَافِظُ عَلَى قِرَاءَتَيْهَا أَيضًا بِاسْتِدَامَةٍ وَاسْتِمْرَارٍ فِي أَيَّامِهِ وَكَلِيَالِيهِ.



﴿ مَنْ يَتَمَلَّ النَّصُوصَ الثَّابِتَةَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُدْرِكُ جُمْلَةً مِنْ الْفَضَائِلِ الْمَشْتَرَكَةِ بَيْنَ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ الَّذِي جَاءَ هَذَا الْمَلِكُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ يَنْزِلُ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ الَّذِي لِأَوَّلِ مَرَّةٍ يُفْتَحُ. فَهَذَا لَا شَكَّ يَدُلُّ عَلَى عِظَمِ الْفَضْلِ وَالْمُنْزَلَةِ الَّتِي خَصَّ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بِهَا هَذِهِ الْآيَاتِ الْمُبَارَكَاتِ. ﴾

❖ وَهَذَا سَأْضَعُ جُمْلَةً مِنَ الْأَحَادِيثِ فِي بَيَانِ فَضْلِ أَوَاخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ:

﴿ جَاءَ عِنْدَ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: « إِنَّ النَّبِيَّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ وَانْتَهَى إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ ، وَذَكَرَ فِيهِ: « فَأُعْطِيَ ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، وَعَقْرَ لِمَنْ لَمْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقْحَمَاتِ » . ﴾

﴿ وَمَعْنَى الْمُقْحَمَاتِ: أَي: الذُّنُوبَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي تُقْحَمُ ، أَي: تُدْخَلُ صَاحِبَهَا النَّارَ - نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ - ﴾

❖ وَمِنْ فَضَائِلِ مَا خْتِمَتْ بِهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ: مَا جَاءَ فِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: « اقْرَأُوا الْآيَاتِينَ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ؛ فَإِنِّي أُعْطِيْتُهُمَا مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ » .

❖ وَمِنْ فَضَائِلِهَا: مَا جَاءَ فِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: « أُعْطِيَتْ هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ آخِرِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ لَمْ يُعْطَهَا نَبِيٌّ قَبْلِي ، وَلَا يُعْطَى مِنْهُ أَحَدٌ بَعْدِي » .



❁ وَمِنْ فَضَائِلِهَا: مَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ».

✍ قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: أُمَّهُمَا تَكْفِيَانِيهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. فَمَنْ وَاظَبَ عَلَى قِرَاءَةِ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ كُلِّ لَيْلَةٍ يَكُونُ لَهُ بِهَا وَقَايَةٌ وَحِفْظٌ وَأَمْنٌ بِإِذْنِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- مِنَ الشَّرِّ وَالْآفَاتِ.

✍ ، كَانَ السَّلْفُ -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ- يَحْرِصُونَ عَلَى الْعِلْمِ وَالتَّعَلُّمِ. جَاءَ فِي الْأَثَرِ عَنْ فَضْلِ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: (فَاقْرُؤُهُمَا وَعَلِّمُوهُمَا أَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ؛ فَإِنَّهَا قُرْآنٌ وَصَلَاةٌ وَدُعَاءٌ).

📖 وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يَقُولُ: « مَا كِدْتُ أَرَى أَحَدًا يَعْقِلُ يَنَامُ قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَ خَوَاتِيمَ الْبَقَرَةِ».

فَالْمَوْفِقُ مَنْ حَفِظَهَا وَتَدَبَّرَ مَعَانِيَهَا وَعَمِلَ بِمَقْتَضَاهَا.

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ رِبِيعَ قُلُوبِنَا وَنُورَ صُدُورِنَا، وَجَلَاءَ أَحْزَانِنَا وَذَهَابَ هُمُومِنَا، وَسَائِقَنَا إِلَيْكَ وَإِلَى جَنَّتِكَ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِ



الدرس الثاني {الله ما في السموات وما في الأرض}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

❖ سُورَةُ الْبَقَرَةِ خُتِمَتْ بِآيَاتٍ جَمَعَتْ مَا قُرِّرَ فِي السُّورَةِ نَفْسَهَا، كَمَا أَلْحَ إِلَى ذَلِكَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ.

✍ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (خُتِمَتِ السُّورَةُ بِآيَاتٍ جَمَعَتْ مَا قُرِّرَ فِي السُّورَةِ؛ فَهِيَ

كَالتَّلْخِصِ لَهَا، وَبَيَانُ مَجْمَلِ مَحْتَوَيَاتِهَا فِي خَاتِمَتِهَا؛]

وَهَذَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى الْمَكَانَةِ الْعَظِيمَةِ لِلآيَاتِ الَّتِي خُتِمَتْ بِهَا سُورَةُ الْبَقَرَةِ.

وَمَنْ يَتَدَبَّرُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ يَجِدُ الْآيَاتِ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا الْأَمْرُ مِنْ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لِلْعِبَادِ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ

اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]، وَهَذَا الْأَمْرُ يَتَعَلَّقُ بِأَعْلَى مَقَامَاتِ الْعِبَادِيَّةِ لِلَّهِ، أَلَا وَهُوَ

التَّوْحِيدُ.

وَوَرَدَ فِيهَا كَذَلِكَ الْأَمْرُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِأَحْكَامِ التَّشْرِيعِ؛ كَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَغَيْرِهَا.

✍ وَنَجِدُ أَيْضًا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ عِنْدَ التَّأَمُّلِ أَنَّ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يُذَكِّرُ الْخَلْقَ أَوْ يُذَكِّرُ النَّاسَ بِقُدْرَتِهِ -

جَلِّ وَعَلَا- عَلَى الْخَلْقِ، فَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِي مَمْلَكَتِهِ، يُخَلِّقُ مَا يَشَاءُ، وَيَحْكُمُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بِمَا يُرِيدُ؛ فَالْأَمْرُ

أَمْرُهُ، وَالْخَلْقُ خَلْقُهُ، يَأْمُرُ فِي خَلْقِهِ بِمَا شَاءَ، لَيْسَ الْأَمْرُ وَالْحُكْمُ لِعَبْدِهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، فَالسَّمَاءُ وَالْأَرْضُ

وَمَا فِيهَا كُلُّهُ لِلَّهِ.



فَالأَمْرُ لَهُ وَالْخَلْقُ لَهُ، هُوَ الَّذِي يَأْمُرُ وَهُوَ الَّذِي يَخْلُقُ، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فَنَاسِبُ أَنْ خَتَمَ أَوْ خَتِمَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ بِقَوْلِهِ - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

﴿وَمَنْ يَفْقَهُ وَفَقَّةً تَدْبِيرَ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ يَجِدُ الدَّلَالَاتِ الْعَظِيمَةَ وَالْمَعَانِي الْكَبِيرَةَ تُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ وَمِنْ خَتَمِ السُّورَةِ بِهَذَا الْمَعْنَى الْعَظِيمِ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

فبقوله: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، ذَاتُ السَّمَاوَاتِ، وَمَا فِيهَا وَمَا عَلَيْهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَمَا عَلَيْهَا أَيْضًا مِمَّا وَسَّعَ السَّمَاوَاتِ الْكُرْسِيِّ وَالْعَرْشِ، كُلُّ ذَلِكَ لِلَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلِلَّهِ مَا فِي الْأَرْضِ، فَمَا مِنْ حَرَكَةٍ تَقَعُ فِي هَذَا الْكُونِ، وَأَيُّ سُكُونٍ، وَأَيُّ اِرْتِفَاعٍ أَوْ انْخِفَاضٍ أَوْ قُرْبٍ أَوْ بَسْطٍ كُلُّهُ لِلَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَاقِعٌ بِتَدْبِيرِهِ وَتَسْخِيرِهِ، فَهُوَ الْمَالِكُ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ الْمُتَصَرِّفُ فِي هَذَا الْكُونِ.

﴿هَذِهِ الْعَقِيدَةُ الثَّابِتَةُ عِنْدَ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ الرَّاسِخِ بِمَا تَقَرَّرَ سَابِقًا، يَقْتَضِي وَنَحْنُ نَقْرَأُ قَوْلَ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، يَقْتَضِي الْإِيمَانَ بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ، وَأَنَّهُ الرَّبُّ الْعَظِيمُ الْخَالِقُ الْجَلِيلُ الْمُتَصَرِّفُ فِي هَذَا الْكُونِ، يَتَصَرَّفُ فِيهِ بِمَا يَشَاءُ، وَيَقْضِي فِيهِ بِمَا يَرِيدُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ، وَيَقْبِضُ وَيَبْسِطُ، وَيُعْطِي وَيَمْنَعُ، وَيُعْزُّ وَيُذِلُّ، وَيُحْيِي وَيُمِيتُ، ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].



فَهَذَا هُوَ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ الَّذِي يَسْتَلْزِمُ لَا مَحَالَةَ تَحْقِيقَ العُبُودِيَّةِ لِلَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ، وَذَلِكَ بِإِخْلَاصِ العِبَادَةِ لِلَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - ، « قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ » .

فَإِذَا أَقَرَّ العَبْدُ بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - وَأَفْرَدَ ذَلِكَ المُعْتَقَدَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، فَإِنَّ هَذَا يَسْتَلْزِمُ لَا مَحَالَةَ أَلَّا يَصْرِفَ شَيْئًا مِنَ العِبَادَةِ إِلَّا لِلَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - ، فَيَطْهَرُ الاِفْتِقَارُ، اِفْتِقَارُ المَخْلُوقَاتِ لِلَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مِنْ كُلِّ وَجْهِ، وَاحْتِيَاجُهَا إِلَيْهِ، فَهِيَ مَمْلُوكَةٌ لَهُ، يَقْضِي فِيهَا بِمَا يَشَاءُ، وَيَحْكُمُ فِيهَا بِمَا يُرِيدُ، ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [فاطر: ٢].

﴿ هَذَا الإِيمَانُ الرَّاسِخُ بِاللَّوْهِيَّةِ اللَّهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ يَقْتَضِي أَلَّا يَلْجَأَ المُسْلِمُ إِلَّا لِلَّهِ، وَلَا يَسْتَعِينُ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا يَتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَى اللَّهِ، وَلَا يَطْلُبُ المَدَدَ وَالْعَوْنَ إِلَّا مِنَ اللَّهِ، وَلَا يَدُلُّ وَلَا يَخْضَعُ، وَلَا يَرْكَعُ وَلَا يَسْجُدُ، وَلَا يَصْرِفَ شَيْئًا مِنَ العِبَادَةِ إِلَّا لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَبِحَمْدِهِ - .

﴿ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ : تَنْزِيهُهُ لِلَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - عَنِ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ، أَوْ أَنْ يُصَافَ إِلَيْهِ الوَلَدُ وَالصَّاحِبَةُ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُومًا كَبِيرًا .

﴿ كَيْفَ يُصَافُ لَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ! وَهُوَ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ . قَالَ تَعَالَى: ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٠١]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ [مريم: ٩٢-٩٣].



❁ وما يُستفاد من قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: بَطْلَانُ مَنْ يَجْعَلُ نَفْسَهُ مُشْرَعًا وَحَاكِمًا وَمُنَازِعًا لِلَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فِي التَّشْرِيعِ وَالْحُكْمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧].

اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَضَلَّلْنِ، وَرَبَّ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنِ، نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



الدرس الثالث

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ تَبْذُؤُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوا بِمَا حَسِبْتُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.

وَبَعْدُ...

فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْذُؤُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوا بِمَا حَسِبْتُمْ بِهِ اللَّهُ﴾

[البقرة: ٢٨٤]، اذْبِطْ أَوْثِقَ بَيْنَ عُمُومِ مُلْكِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- لِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَهَذَا الْعُمُومُ يَرِسُّ عَقِيدَةَ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ؛ أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ شَيْءٌ عَنِ مُلْكِ اللَّهِ وَلَا مِثْقَالُ ذَرَّةٍ، فَالْكُلُّ مَمْلُوكٌ لَهُ، وَالْكُلُّ مَرْبُوبٌ لَهُ، فَكَمَا أَنَّ مُلْكَ اللَّهِ عَامٌّ فَكَذَلِكَ عِلْمُ اللَّهِ، ﴿وَأَنْ تَبْذُؤُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوا بِمَا حَسِبْتُمْ بِهِ اللَّهُ﴾.

لَا يَخْرُجُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ؛ الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ، السَّرُّ وَالْعَلَانِيَّةُ، وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ وَمَا تُعْلِنُ، الْكُلُّ سِوَاءٍ عِنْدَ اللَّهِ، يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى.

قال تعالى: ﴿سِوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ

بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ

لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]. وقال تعالى: ﴿أَلَا

يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].



﴿لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾﴾ [البقرة: ٢٨٤]. شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ فَقَلُّوهُمْ مُعَلَّقَةٌ بِاللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ، فَإِذَا قَرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُمْ يَقْرَأُونَهُ تَدْبُرًا وَفَهْمًا وَخُضُوعًا لِلَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - .

قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فَاتَّوَا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، ثُمَّ بَرَكَوْا عَلَى الرَّكْبِ ، فَقَالُوا: أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ ، كُفِّمْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ؛ الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ ، وَقَدْ أَنْزَلْتَ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةَ وَلَا نُطِيقُهَا .

﴿قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « أَتْرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا! بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ » ، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ .

فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ دَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْ كِتَابَهُ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] ، قَالَ: «نعم» ، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ ، قَالَ: «نعم» ، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قَالَ: «نعم» ، ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ، قَالَ: «نعم» .



سأذكر جملة من الفوائد في قول الله - تبارك وتعالى -: ﴿وإن تَبَدُّوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللهُ﴾.

قال بعض أهل العلم ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: إن هذه الآية محكمة وليست منسوخة، وقولهم هذا مبني على مفهوم المحاسبة في قوله تعالى: ﴿يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللهُ﴾، فالمحاسبة لا تقتضي العذاب والعقاب؛ ولذا قال بعدها: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾.

ولقوله - صلى الله عليه وسلم - في الصحيح: «إن الله - عز وجل - يوم القيامة يخلو بعبد، ويضع عليه كنفه، فيقول: ألم تفعل كذا؟ ألم تفعل كذا؟ ألم تفعل كذا؟ فيقول: بلى يا رب»، فهذه المحاسبة، «فيقول: بلى يا رب، فيقول: فإنني سترتها عليك في الدنيا وأغفرها لك اليوم».

فمفهوم المحاسبة هنا أن يقرره بأعماله؛ عملت كذا وعملت كذا وعملت كذا، يقرره بأعماله، فيقرها، ثم بعد هذه المحاسبة العفو «فإنني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم».

وفي المسألة قول آخر ذهب إليه جمع من أهل العلم وهي: أن الآية ﴿وإن تَبَدُّوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللهُ﴾ منسوخة بقوله تعالى: بقوله: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

وفي نهاية هذا الدرس أشير إلى مسألة مهمة وهي: أن ما يعرض على القلب من خواطر فاسدة يجدها المسلم في سيره إلى الله فهذه الخواطر وسوسة شيطانية مع ما في القلب من استقرار الإيمان في القلب، فالواجب في هذه الحالة دفع الوسوس وعدم الاسترسال معها، والاستعادة بالله.



وَعَدَمُ الْكَلَامِ بِمُقْتَضَاهَا لَيْسَ بِكُفْرٍ؛ لِأَنَّهُ لَا اخْتِيَارَ لِلْعَبْدِ فِيهِ، بَلْ هُوَ شَيْءٌ يَهْجَمُ عَلَى الْقَلْبِ بِغَيْرِ قَصْدٍ. وَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ أَنْ تَجَاوَزَ عَنْ ذَلِكَ مَا لَمْ يَعْمَلْ بِهِ أَوْ يَتَكَلَّمَ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « **إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا وَسَوَسَتْ أَوْ حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تَكَلَّمَ** ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

﴿ **قَالَ النَّوَوِيُّ فِي (الْأَذْكَارِ):** (الْحَوَاطِرُ وَحَدِيثُ النَّفْسِ إِذَا لَمْ يَسْتَقِرَّ وَيَسْتَمِرَّ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ فَمَعْفُو عَنْهُ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ؛ لِأَنَّهُ لَا اخْتِيَارَ لَهُ فِي وُقُوعِهِ وَلَا طَرِيقَ لَهُ إِلَى الْإِنْفِكَاحِ عَنْهُ، وَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ بِمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: « **إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَكَلَّمَ بِهِ أَوْ تَعْمَلْ** ». قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْمُرَادُ بِهِ الْحَوَاطِرُ الَّتِي لَا تَسْتَقِرُّ. قَالُوا: وَسَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ الْحَوَاطِرُ غَيْبَةً أَوْ كُفْرًا أَوْ غَيْرَهُ، فَمَنْ خَطَرَ لَهُ الْكُفْرُ مُجَرَّدَ خَطَرَانٍ مِنْ غَيْرِ تَعَمُّدٍ لِتَحْصِيلِهِ ثُمَّ صَرَفَهُ فِي الْحَالِ فَلَيْسَ بِكَافِرٍ وَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ). انْتَهَى.

وَاهْتِمَامُ الْمُؤَسَّسِ بِالسُّؤَالِ عَنْ حُكْمِ مَا يَدُورُ فِي قَلْبِهِ مِنْ خَوَاطِرٍ فَاسِدَةٍ دَلِيلٌ عَلَى كُرْهِهِ وَخَوْفِهِ وَنُفُورِهِ مِنْ هَذِهِ الْوَسَاوِسِ الشَّيْطَانِيَّةِ، وَذَلِكَ عَلَامَةٌ عَلَى صِحَّةِ الْإِيمَانِ وَقُوَّةِ الْإِيمَانِ، فَقَدْ جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلُوهُ: « **إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاطَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ؟ قَالَ: وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: ذَلِكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ** ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

﴿ **قَالَ النَّوَوِيُّ:** (مَعْنَاهُ: اسْتِعْظَامُكُمْ الْكَلَامَ بِهِ هُوَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ، فَإِنَّ اسْتِعْظَامَ هَذَا وَشِدَّةَ الْخَوْفِ مِنْهُ وَمِنْ النَّطْقِ بِهِ، فَضْلًا عَنْ اعْتِقَادِهِ إِنَّمَا يَكُونُ لِمَنْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ اسْتِكْمَالًا مُحَقَّقًا وَانْتَمَتْ عَنْهُ الرَّيْبَةُ وَالشُّكُوكُ). اه.



وَأَمَّا الْاسْتِرْسَالُ مَعَ الْوَسْوَسَةِ فَمَعْنَاهُ الْاسْتِمْرَارُ فِي التَّفَكُّرِ فِيهَا وَعَدَمُ الْانْتِهَاءِ، وَهَذَا مُخَالِفٌ لِلشَّرْعِ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَتَّكِبْ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الدرس الرابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَالَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - : ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة :

٢٨٤]، وَرَدَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْعُفْرَانُ وَالْعَذَابُ، وَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى وُجُودِ الْأَمْرِ مِنَ اللَّهِ بِالْفِعْلِ، وَوُجُودِ النَّهْيِ مِنَ اللَّهِ الَّذِي يَقْتَضِي التَّحْرِيمَ بِالتَّرْكِ.

﴿ فَعَلَى هَذَا دَلٌّ سِيَّاقُ الْآيَةِ فِي بَابِ الرَّجَاءِ أَنَّ مَنْ أَحْسَنَ الْعَمَلَ نَالَ الْمَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ وَالسَّلَامَةَ مِنَ الْعَذَابِ، وَفِي الْمُقَابِلِ فِي بَابِ الْخَوْفِ مَنْ أَسَاءَ الْعَمَلَ وَأَسْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ بِذُنُوبٍ مُهْلِكَاتٍ، اسْتَحَقَّ الْعَذَابَ وَالنَّكَالَ، ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾.

فَإِذَا ثَبَتَ هَذَا الْمُنْهَجَ الرَّشِيدُ وَالْمُسْلِكُ الْقَوِيمُ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ قِيَامُ تَعْظِيمِ الْأَمْرِ لِلَّهِ، وَالْبُعْدُ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ؛ عَلِمَ أَنَّ ثُبُوتَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ يَسْتَلْزِمُ ثُبُوتَ الرَّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ الَّتِي جَاءَتْ بِبَيَانِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ.

وَمِنَ الْفَوَائِدِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾: أَي: يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فَضْلاً، وَيُعَذِّبُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - مَن يَشَاءُ عَدْلاً.

﴿ وَبِهَذَا السِّيَاقُ أَيْضًا إِبْنَاتُ الْمَشِيئَةِ لِلَّهِ، وَأَنَّهُ لَا يَقَعُ فِي مُلْكِهِ شَيْءٌ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَالْحَلْقُ خَلْقُهُ وَالْمُلْكُ مُلْكُهُ يَتَصَرَّفُ فِيهِ سُبْحَانَهُ بِمَا يَشَاءُ وَيَقْضِي فِيهِ بِمَا يُرِيدُ، لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - .



وَحْتَمَ - عَزَّ وَجَلَّ - الْآيَةَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾: **إِثْبَاتُ سُموْلِيَّةِ الْقُدْرَةِ، وَأَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَذَكَرَ هُنَا فِي تَمَامِ الْآيَةِ الْمَشِيئَةَ وَالْقُدْرَةَ:**

﴿**الْمَشِيئَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾.**

﴿**وَالْقُدْرَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.**

فَجَمَعَ مَا بَيْنَ الْقُدْرَةِ وَالْمَشِيئَةِ. وَمَشِيئَةُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - نَافِذَةٌ، وَقُدْرُهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - شَامِلٌ. قَالَ تَعَالَى: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [يس: ٨٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [البقرة: ٢٠].

وَمِنَ الْمَقَرَّرِ عَقِيدَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَجَمَعَ قُدْرَتَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، إِلَّا أَنَّ هُنَاكَ أُمُورًا لَمْ يَشَأْهَا - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهَا، فَالْقُدْرَةُ شَامِلَةٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْمَشِيئَةُ نَافِذَةٌ فِيهَا شَاءَهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، فَهَا يَشَأُوهُ لَا بُدَّ أَنْ يَقَعَ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ**﴾ [الأنعام: ٢٨].

فَأَهْلُ النَّارِ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُعَانِدِينَ لَوْ رُدُّوا لِلدُّنْيَا مَرَّةً ثَانِيَةً لَعَادُوا إِلَى مَا نُهُوا عَنْهُ؛ أَي: لَعَادُوا لِلْكَفْرِ وَالشُّرْكِ الَّذِي نُهُوا عَنْهُ، فَاللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُعِيدَهُمْ لِلدُّنْيَا لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ، لَكِنْ مَشِيئَتُهُ لَمْ تَنْفُذْ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَشَأْ ذَلِكَ، لَوْ شَاءَ ذَلِكَ لَنْفَذَ، وَلَا عَادَهُمْ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لِلدُّنْيَا مَرَّةً ثَانِيَةً، فَسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ عَظِيمِ! وَبَعْدُ؛ فَعِنْدَ تِلَاوَةِ هَذِهِ الْآيَةِ نَرَى أَنَّهَا خُتِمَتْ بِقَوْلِ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -: ﴿**وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾.

﴿**وَهُنَاكَ مَسَلُّكَ عَمَلِي تَرْبَوِي**﴾: يَقِفُ الْمُسْلِمُ مَعَ آخِرِ هَذِهِ الْآيَةِ مُذْعِنًا لِلَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أَمَامَ عَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، فَلَا يَغْتَرُّ بِجَاهِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ قُدْرَتِهِ، وَيَسْتَشْعِرُ أَنْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.



فَعِنْدَمَا يَسْمَعُ الْمُؤْمِنُ الْأَذَانَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، يَقُولُ مُسْتَعِينًا بِاللَّهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
الَّذِي لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَإِذَا احْتَارَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ لَا يَدْرِي مَا الْحَيُّرُ فِيهِمَا، اسْتَخَارَ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ، وَسَأَلَهُ بِقُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ أَنْ يَخْتَارَ
لَهُ الْأَحْسَنَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ
تُقَدِّرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ). وَإِذَا شَكَا وَجَعًا وَأَلْمًا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ
يُزِيلَ عَنْهُ أَوْجَاعَهُ وَهُمُومَهُ وَأَحْزَانَهُ: (أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ أَسْرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَازِرُ).

وَعَلَى هَذَا فَالْمُؤْمِنُ مَأْمُورٌ دَائِمًا أَنْ يَتَذَكَّرَ قُدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَقُوَّتَهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ وَشُؤُونِهِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ -
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ، مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ؟ تَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ
إِلَّا بِاللَّهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ: أَسَلَّمَ عَبْدِي وَاسْتَسَلَّمَ ».



الدرس الخامس

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

📖 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾، هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَوَاخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ أَعْظَمِ آيَاتِ الْقُرْآنِ فِي تَقْرِيرِ الْإِيمَانِ، وَبَيَانِ أَصُولِهِ الْعِظَامِ، وَأَرْكَانِهِ وَدَعَائِمِهِ الَّتِي عَلَيْهَا يُبْنَى، وَالَّتِي لَا قِيَامَ لِلْإِيمَانِ إِلَّا عَلَيْهَا، وَبَيَانِ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ وَحَدِّهِ وَمَا يَدْخُلُ فِي مُسَمَّاهُ بِأَجْمَعٍ مَا يَكُونُ مِنَ الْبَيَانِ وَأَوْجَزِهِ وَأَعْظَمِهِ، فَهِيَ آيَةٌ جَامِعَةٌ فِي تَقْرِيرِ الْإِيمَانِ وَبَيَانِهِ.

✍️ **وَبِنَاءٌ عَلَى هَذَا** فَالْإِيمَانُ لَا يُنَالُ وَلَا يُعْرَفُ حَقِيقَتُهُ وَلَا يُمَكِّنُ لِلْعَبْدِ أَنْ يُحَقِّقَهُ إِلَّا بِالتَّبَعِيَّةِ وَالْانْقِيَادِ لِلرَّسُولِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَا سَبِيلَ لَهُ بِمَعْرِفَةِ الْإِيمَانِ وَطَرِيقِهِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الْوَحْيِ، فَتَفَاصِيلُ الْإِيمَانِ وَجَوَانِبُهُ وَفُرُوعُهُ وَأَعْمَالُهُ وَخِصَالُهُ عَرَفَهَا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مِنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢]، وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْإِيمَانُ، أَي: تَفَاصِيلُهُ وَشَرَائِعُهُ وَأَعْمَالُهُ وَخِصَالُهُ الْعَدِيدَةُ الدَّاخِلَةُ فِيهِ، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَهْتَدِيَ إِلَيْهَا إِلَّا مِنْ خِلَالِ الْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ.

📖 وَلِذَلِكَ قَالَ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾.

فَاللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - صَدَّرَ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ بِالشَّهَادَةِ لِنَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى وَخَلِيلِهِ الْمُجْتَبَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - بِالْإِيمَانِ، ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾، فَهَذِهِ شَهَادَةٌ مِنْ أَعْظَمِ شَاهِدٍ بِأَعْظَمِ مَشْهُودٍ بِهِ وَهُوَ الْإِيمَانُ، لِأَفْضَلِ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْكَاهُمْ وَأَعْظَمِهِمْ طَاعَةَ لِلَّهِ، شَهِدَ لَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِذَلِكَ.



فَكَانَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أُسْوَةً لِلنَّاسِ، وَقُدْوَةً لِعِبَادِ اللَّهِ، بِحَيْثُ إِنَّهُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- اجْتَمَعَتْ فِيهِ خِصَالُ الْإِيمَانِ وَأُمُورُ الدِّينِ اجْتِمَاعًا تَامًّا كَامِلًا لَا يَلْحَقُهُ فِيهِ أَحَدٌ، وَأَصْبَحَ فِي كُلِّ خِصْلَةٍ مِنْ خِصَالِ الدِّينِ وَشَعِيرَةٍ مِنْ شَعَائِرِهِ وَعَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِهِ أَكْمَلَ النَّاسِ فِي ذَلِكَ وَاتَّمَّهُمْ، فَهُوَ الْقُدْوَةُ وَالْأُسْوَةُ لِغَيْرِهِ -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- فِي أُمُورِ الدِّينِ كُلِّهَا.

وَالْمُؤْمِنُونَ تَبِعُوا لَهُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَهَذِهِ التَّبَعِيَّةُ وَاضِحَةٌ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، قَالَ: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، فَالْمُؤْمِنُونَ تَبِعُوا لِرَسُولِهِمْ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَخِيَارُهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ مَنْ كَانَ أَعْظَمَ اقْتِدَاءً بِهِ وَتَأْسِيًا بِهِدْيِهِ وَلُزُومًا لِنَهْجِهِ، وَكَانَ بَعِيدًا عَنِ مُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ وَالْبِدَعِ.

﴿كَمَا قَالَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»، أَي: مَرْدُودٌ عَلَى صَاحِبِهِ غَيْرٌ مَقْبُولٌ مِنْهُ، فَلَا يُقْبَلُ الْإِيمَانُ وَلَا تُقْبَلُ الطَّاعَةُ وَالْعِبَادَةُ إِلَّا بِهَذِهِ التَّبَعِيَّةِ لِلنَّبِيِّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وَالْاِقْتِدَاءِ بِهِ.



وَلِذَلِكَ قَالَ مَنْ قَالَ مِنَ الْعُلَمَاءِ: إِنَّ كُلَّ طَرِيقٍ إِلَى الْجَنَّةِ مَسْدُودٌ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ الرَّسُولِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-. وَكَمَالَ الْإِنْسَانِ بِحَسَبِ اتِّبَاعِهِ لِلرَّسُولِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، لَيْسَ الْكَمَالُ بِمُتَابَعَةِ الْأَهْوَاءِ وَلَا بِمُتَابَعَةِ حُطُوطِ النَّفْسِ وَلَا بِغَيْرِ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا كَمَالَ الْعَبْدِ بِاتِّبَاعِهِ لِهَذَا الرَّسُولِ الْكَرِيمِ -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-.

وَلِهَذَا أَيْضًا قَالَ مَنْ قَالَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ أُمُورَ الدِّينِ وَأُصُولَهُ وَأَعْمَالَهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُنَالَ وَتَحْصَلَ وَيُظْفَرَ بِهَا إِلَّا مِنْ طَرِيقِهِ -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-، كَمَا ذَكَرَ صَاحِبُ [الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ]، قَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (كَيْفَ يُرَامُ الْوُصُولُ إِلَى عِلْمِ الْأُصُولِ بِغَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ)؛ أَي: أَنْ هَذَا لَا يُمَكِّنُ -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-.

فَمَا يُمَكِّنُ لِعَبْدٍ وَاحِدٍ كَائِنًا مَنْ كَانَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الْخَيْرِ، وَأَنْ يَعْرِفَ الْإِيمَانَ، وَأَنْ يَقِفَ عَلَى حَقِيقَتِهِ، إِلَّا بِاقْتِفَاءِ آثَارِ الرَّسُولِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَالسَّيْرِ عَلَى مِنْهَاجِهِ. وَلَقَدْ أَبْعَدَ أَقْوَامُ النَّجْعَةِ عِنْدَمَا حَاوَلُوا مَعْرِفَةَ الْإِيمَانِ مِنْ خِلَالِ اللَّعَةِ الْمُجَرَّدَةِ، وَمِنْ خِلَالِ عِلْمِ الْكَلَامِ الذَّمِيمِ، وَمِنْ خِلَالِ أُمُورٍ عَدِيدَةٍ كَانَتْ التَّيْجَةَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنْ فَسَدَ عَلَيْهِمْ مَعْرِفَةُ الْإِيمَانِ.



الدرس السادس: حقيقة الإيمان ١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

﴿ فِي قَوْلِ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

● هَذِهِ الْآيَةُ وَحَدَّاهَا جَمَعَتْ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ، وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَذْكُرَ حَدَّ الْإِيمَانِ الْجَامِعِ وَتَعْرِيفَهُ الْوَاقِفِ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ الْعَظِيمَةِ، فَالْإِيمَانُ الْحَقُّ مَبْنِيٌّ عَلَى عَقِيدَةٍ وَشَرِيعَةٍ، وَعَلَى عِلْمٍ وَعَمَلٍ، وَإِيمَانٍ وَطَاعَةٍ.

● وَعَلَى هَذَا فَهُوَ يَتَنَاوَلُ الدِّينَ كُلَّهُ؛ أَصُولَهُ وَفُرُوعَهُ، وَعَقَائِدَهُ وَأَعْمَالَهُ، وَآدَابَهُ وَأَخْلَاقَهُ، كُلُّهَا دَاخِلَةٌ فِي مُسَمَّى الْإِيمَانِ.

● وَهَذِهِ الْآيَةُ تُثَبِّتُ أَنَّ الْإِيمَانَ لَهُ أَصْلٌ رَاسِخٌ، وَفَرْعٌ بَاسِقٌ، وَأَعْمَالٌ صَالِحَةٌ، وَطَاعَاتٌ زَاكِيَةٌ، وَاتِّبَاعٌ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَاهْتِدَاءٌ بِهَدْيِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥].

✍️ أَجْمَعَ السَّلْفُ قَاطِبَةً عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَاعْتِقَادٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ.



وَحَتَّى يَسْهَلَ عَلَيْنَا جَمْعُ مَسَائِلِ هَذَا الدَّرْسِ فَإِنَّ أَعْظَمَ مَا يُبَيِّنُ مَسَائِلَهُ بِاخْتِصَارٍ دُونَ تَوْسِعٍ وَإِطَالَةٍ أَنْ نَقِفَ مَعَ خَمْسَةِ أَحَادِيثَ ثَابِتَةٍ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قَلَّ أَنْ تَجِدَ كِتَابًا لِأَيِّمَّةِ السَّلَفِ وَعُلَمَاءِ السُّنَّةِ إِلَّا وَيُورِدُونَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ الْخَمْسَةَ، فَقَدْ جَمَعَتْ غَالِبًا الْإِيمَانَ وَبَيَّنَتْ حَقِيقَتَهُ، وَبَيَّنَتْ مَا يَدْخُلُ تَحْتَ مُسَمَّى الْإِيمَانِ.

﴿أَمَّا الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ: فَهُوَ حَدِيثُ جَبْرِيلَ الْمَشْهُورِ، وَهُوَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ، وَفِيهِ أَنَّ جَبْرِيلَ سَأَلَ النَّبِيَّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، فَقَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: « الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ».

فَعُلِمَ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ فِي تَعْرِيفِ الْإِيمَانِ وَبَيَانِ حَدِّهِ: أَنَّ الْإِيمَانَ مِنْ حَدِّهِ أَنَّهُ يَقُومُ عَلَى أَصُولٍ عِظَامٍ،

وَأُسُسٍ كِبَارٍ وَهِيَ سِتَّةٌ بَيَّنْتُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ:

- ١ - الْإِيمَانُ بِاللَّهِ.
- ٢ - وَمَلَائِكَتِهِ.
- ٣ - وَكُتُبِهِ.
- ٤ - وَرُسُلِهِ.
- ٥ - وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.
- ٦ - وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.



﴿ يَقُولُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: هَذِهِ الْأُصُولُ السَّتَّةُ ذُكِرَتْ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَفِي وَسْطِهَا وَفِي خَاتَمِهَا:

﴿ مَا فِي أُولَئِكَ: فِي قَوْلِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ٢-٥].

﴿ فِي وَسْطِ السُّورَةِ: قَالَ اللَّهُ -جَلَّ وَعَلَى-: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

﴿ فِي خَاتَمِ السُّورَةِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

﴿ وَمِنْ اللَّطَائِفِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي نَبَّهَ عَلَيْهَا بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- قَالَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ أَمْرًا الْمُؤْمِنِينَ: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦].

﴿ يَقُولُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَمَرَ فِي أَثْنَاءِ السُّورَةِ وَلَمْ يَخْتَمِهَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- إِلَّا وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ حَقَّقُوا ذَلِكَ، فَفِي أَثْنَائِهَا قَالَ: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ ﴾، وَفِي آخِرِهَا ذَكَرَ الْاسْتِجَابَةَ ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾، وَهَذَا فِيهِ كَمَالُ عِلْمِ الصَّحَابَةِ وَكَمَالُ اسْتِجَابَتِهِمْ لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

هَذَا هُوَ الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ وَهُوَ حَدِيثُ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلِلْحَدِيثِ بَقِيَّةٌ.



الدرس السابع: حقيقة الإيمان ٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

﴿ **بَيْنَا فِي الدَّرْسِ الْمَاضِي حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ**، وَذَكَرْنَا أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْمَقَامَاتِ الَّتِي يَرْجِعُ إِلَيْهَا أَهْلُ الْإِسْلَامِ فِي مَعْرِفَةِ الْإِيمَانِ وَالْوُقُوفِ عَلَى حَقِيقَتِهِ الْوُقُوفُ عَلَى أَحَادِيثِ النَّبِيِّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَذَكَرْنَا فِيهَا فِي الدَّرْسِ الْمَاضِي حَدِيثَ جَبْرِيلَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وَالَّذِي فَسَّرَ بَعْقَائِدَ الْإِيمَانِ الْبَاطِنَةَ.

﴿ **وَأَمَّا الْحَدِيثُ الثَّانِي**: فَهُوَ حَدِيثٌ وَفِدِ عَبْدِ الْقَيْسِ، وَهُوَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، وَفِيهِ أَنَّهُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قَالَ لِهَذَا الْوَفْدِ: «**أَمُرُّكُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ، أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا الْخُمْسَ مِنَ الْمَغْنَمِ.**»

﴿ **فَسَّرَ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- الْإِيمَانَ فِي حَدِيثِ وَفِدِ عَبْدِ الْقَيْسِ بِأَعْمَالِ الْإِسْلَامِ الظَّاهِرَةِ.**

﴿ **وَأَمَّا فِي الدَّرْسِ الْمَاضِي وَهُوَ حَدِيثُ جَبْرِيلَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَفَسَّرَهُ بَعْقَائِدَ الْإِيمَانِ الْبَاطِنَةَ. وَدَلَالَةُ الْحَدِيثِ وَاضِحَةٌ الْمَعْنَى؛ أَنَّ الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْحَجَّ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ الطَّاعَاتِ دَاخِلَةٌ فِي مُسَمَّى الْإِيمَانِ، وَلِذَلِكَ يَقُولُ أَهْلُ الْإِيمَانِ بَعْقِيدَةً رَاسِخَةً وَيَقِينُ ثَابِتٍ وَبِكُلِّ أَطْمِئِنَانٍ أَنَّ الصَّلَاةَ إِيْمَانٌ، وَالْحَجَّ إِيْمَانٌ، وَالصِّيَامَ إِيْمَانٌ، وَالزَّكَاةَ إِيْمَانٌ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سَمَّى هَذِهِ الطَّاعَاتِ إِيْمَانًا.**

﴿ **وَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- يَقْرَأُ الشَّوَاهِدَ عَلَى ذَلِكَ، بِتَسْمِيَةِ الطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ وَالْأَعْمَالِ بِأَنَّهَا إِيْمَانٌ:**

﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيْمَانَكُمْ** ﴾ [البقرة: ١٤٣].



📖 وكقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

📖 **أَمَّا الْحَدِيثُ الثَّلَاثُ الَّذِي يُبَيِّنُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ فَهُوَ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَتْتَهَبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَتْتَهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(١)**

وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ فَايِدَةٌ عَظِيمَةٌ فِي بَيَانِ مَعْنَى الْإِيمَانِ وَحَقِيقَتِهِ؛ أَنَّ تَرَكَ الْمُحَرَّمَاتِ إِيمَانٌ، كَمَا أَنَّ فِعْلَ الطَّاعَاتِ إِيمَانٌ.

📌 **وَلَقَدْ قَالَ السَّلْفُ قَدِيمًا - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - فِي تَعْرِيفِ الْإِيمَانِ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَاعْتِقَادٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ. فَالْمَعْصِيَةُ تَنْقُصُ الْإِيمَانَ؛ وَلِذَلِكَ إِذَا تَرَكَ الْمُسْلِمُ الْمُحَرَّمَاتِ فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى إِيْمَانِهِ وَرُسُوخِهِ فِي قَلْبِهِ، كَمَا أَنَّ فِعْلَ الطَّاعَاتِ دَلِيلٌ عَلَى رُسُوخِ الْإِيمَانِ وَيَقِينِهِ فِي قَلْبِهِ، وَهَذَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ حَدِيثٌ وَفَدَّ عَبْدُ الْقَيْسِ.**

📌 **وَلِمَاذَا الْمَعْصِيَةُ تَنْقُصُ الْإِيمَانَ؟ لِأَنَّ تَرَكَهَا جُزْءٌ مِنَ الْإِيمَانِ، وَدَاخِلٌ فِي مُسَمَّاهُ، وَالْحَدِيثُ وَاضِحٌ الدَّلَالَةِ عَلَى ذَلِكَ.**

(١) صحيح البخاري (٥٥٧٨) باختلاف يسير

✽ إِذَا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ فِيهِ فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ فِي تَعْرِيفِ الْإِيمَانِ، أَلَا وَهِيَ: أَنْ تَرَكَ الْمَعَاصِيَ وَالْبُعْدَ عَنِ
الْآثَامِ هَذَا أَمْرٌ دَاخِلٌ فِي مُسَمَى الْإِيمَانِ.

✽ إِذَا مَعَنَا الْآنَ ثَلَاثَةُ أَحَادِيثَ:

✽ الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ: حَدِيثُ جَبْرِيلَ، أَفَادَنَا أَنَّ الْإِيمَانَ يَتَنَاوَلُ عَقَائِدَ الْإِيمَانِ وَأُصُولَهُ الْكِبَارَ الَّتِي مَحَلُّهَا
الْقَلْبُ.

✽ وَالْحَدِيثُ الثَّانِي: حَدِيثُ وَفِدِ عَبْدِ الْقَيْسِ، أَفَادَنَا أَنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَالطَّاعَاتِ الزَّكَايَةَ وَالْقُرْبَاتِ
الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا الْمُسْلِمُ إِلَى اللَّهِ دَاخِلَةٌ فِي مُسَمَى الْإِيمَانِ.

✽ وَالْحَدِيثُ الثَّلَاثُ: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَفَادَنَا أَيْضًا فَائِدَةً جَلِيلَةً وَهِيَ أَنْ تَرَكَ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْبُعْدَ عَنِ
الْآثَامِ دَاخِلٌ فِي مُسَمَى الْإِيمَانِ.

وَلِلْحَدِيثِ بَقِيَّةٌ مَعَ الْحَدِيثِ الرَّابِعِ بِإِذْنِ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -.



الدرس الثامن : حقيقة الإيمان ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

👉 لَا زَالَ حَدِيثُنَا فِي بَيَانِ الْأَحَادِيثِ الثَّابِتَةِ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي بَيَانِ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ وَحَدُّهُ.

📖 **أَمَّا الْحَدِيثُ الرَّابِعُ:** فَهُوَ حَدِيثٌ جَامِعٌ، مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ بِ حَدِيثِ شُعْبِ الْإِيمَانِ، وَهُوَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «**الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ شُعْبِ الْإِيمَانِ**».

❖ **فَأَفَادَ هَذَا الْحَدِيثُ:** أَنَّ الْإِيمَانَ شُعْبٌ كَثِيرَةٌ لَهَا أَعْلَى وَأَدْنَى، فَأَعْلَاهَا: قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَالْمَرَادُ بِالْقَوْلِ إِذَا أُطْلِقَ - كَمَا يَقُولُ الْعُلَمَاءُ - : قَوْلُ الْقَلْبِ اعْتِقَادًا، وَقَوْلُ اللِّسَانِ نُطْقًا وَتَلْفُظًا، «**أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ شُعْبِ الْإِيمَانِ**».

❖ **فَأَفَادَ الْحَدِيثُ أَنَّ الْإِيمَانَ:**

❖ **مِنْهُ:** مَا يَكُونُ بِاللِّسَانِ.

❖ **وَمِنْهُ:** مَا يَكُونُ بِالْقَلْبِ.

❖ **وَمِنْهُ:** مَا يَكُونُ بِالْجَوَارِحِ.

◀ **مِنْهُ مَا يَكُونُ بِاللِّسَانِ:** هُوَ أَعْلَاهَا، قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَيْضًا بِالْقَلْبِ؛ لِأَنَّ الْقَوْلَ هُنَا يَشْمَلُ قَوْلَ اللِّسَانِ نُطْقًا وَقَوْلَ الْقَلْبِ اعْتِقَادًا.



﴿ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَدَى عَنِ الطَّرِيقِ ﴾، وَإِمَاطَةُ الْأَدَى عَنِ الطَّرِيقِ **عَمَلٌ يُبَاشِرُهُ الْمُسْلِمُ بِجَوَارِحِهِ**، فَهُوَ دَاخِلٌ فِي مُسَمَى الْإِيمَانِ.

﴿ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ ﴾، **أَيْضًا الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ الَّتِي تَكُونُ فِي الْقَلْبِ** دَاخِلَةٌ فِي مُسَمَى الْإِيمَانِ؛ الْحَيَاءُ، الْخَشْيَةُ، الْإِنَابَةُ، التَّوَكُّلُ، الرَّجَاءُ، الْخَوْفُ، الْمَحَبَّةُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ الْقَلْبِيَّةِ هَذِهِ كُلُّهَا دَاخِلَةٌ فِي مُسَمَى الْإِيمَانِ.

﴿ **أَيْضًا تَرْكُ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ الَّتِي تَكُونُ فِي الْقَلْبِ**، هَذَا أَيْضًا دَاخِلٌ فِي مُسَمَى الْإِيمَانِ؛ الْحِقْدُ وَالْغُلُّ وَالْحَسَدُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ السَّيِّئَةِ تَرْكُهَا وَالْبُعْدُ عَنْهَا وَتَنْفِيَةُ الصَّدْرِ مِنْهَا؛ هَذَا دَاخِلٌ فِي مُسَمَى الْإِيمَانِ.

﴿ **وَأَمَّا الْحَدِيثُ الْخَامِسُ:** فَهُوَ حَدِيثُ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ، حَيْثُ قَالَ لِلنَّبِيِّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ، قَالَ: **«قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمَ»** ^(١)، وَهَذَا جَمَعَ مَا سَبَقَ بِأَوْجَزِ عِبَارَةٍ أَنَّ الْإِيمَانَ عَقِيدَةٌ وَشَرِيعَةٌ.

«قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمَ»؛ أَي: اسْتَقِمْ عَلَى أَعْمَالِ الدِّينِ وَطَاعَاتِهِ وَأَنْوَاعِ الْقُرْبَاتِ إِلَى أَنْ تَلْقَى اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

وَهَذَا فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَهْمِيَّةِ الثَّبَاتِ عَلَى الْإِيمَانِ، وَمَوَاصِلَةِ الْمُدَاوَمَةِ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ يَمُوتَ الْإِنْسَانُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَى -: ﴿ **اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

(١) صحيح مسلم، ٣٨.



📖 **وَالثَّمَرَةُ** الَّتِي يَرْجُوهَا الْمُؤْمِنُ مِنْ مَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، وَأَنْ يَسْتَقِيمَ عَلَيْهِ عَقِيدَةً وَشَرِيعَةً، عِلْمًا وَعَمَلًا، قَوْلًا وَاعْتِقَادًا؛ هُوَ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فِي قَوْلِهِ -جَلَّ وَعَلَا- :

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣]، وفي الآية الأخرى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنْزَّلُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ (٣٢) نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣١-٣٢].

📖 **فَهَذِهِ خَمْسَةُ أَحَادِيثَ عَظِيمَةٍ مُبَارَكَةٍ**، يَحْسُنُ بِنَا جَمِيعًا أَنْ نَحْفَظَهَا، وَأَنْ نَسْعَى جَاهِدِينَ فِي تَحْقِيقِهَا وَتَكْمِيلِ مَعَانِيهَا، فَقَدْ جَمَعْتُ وَبَيَّنْتُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ وَحَدَّهُ.

اللَّهُمَّ زِينَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ، اللَّهُمَّ أَحِينَا مُسْلِمِينَ وَتَوَقَّنَا مُؤْمِنِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ، اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادِنَا، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالْمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



الدرس التاسع : حقيقة الإيمان ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

﴿ قَالَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ

بِاللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] الآية.

آيَةٌ عَظِيمَةٌ ذَكَرَ فِيهَا أَصُولَ الْإِيمَانِ وَأَرْكَانَهُ الْعِظَامَ الَّتِي لَا قِيَامَ لِلْإِيمَانِ إِلَّا عَلَيْهَا، وَجَاءَتْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مُجْتَمِعَةً، وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَإِنَّا نَجِدُ آيَاتٍ أُخْرَى ذَكَرَ فِيهَا أَصُولَ الْإِيمَانِ مُجْتَمِعَةً،

كَقَوْلِ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

﴿ وَأَيْضًا ذَكَرَتْ مُجْتَمِعَةً فِي قَوْلِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ

الَّذِي نَزَلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦].

﴿ وَمِنَ الْمُقَرَّرِ بِالنِّصِّ الشَّرْعِيِّ إِذَا فَقَدَ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْأُصُولِ زَالَ الْإِيمَانُ، وَحَبِطَ الْعَمَلُ، وَحِيلَ بَيْنَهُ

وَبَيْنَ الْقَبُولِ، فَلَا يُنْتَفَعُ بِهِ، فَالْأَعْمَالُ لَا تَقُومُ إِلَّا عَلَى أَصُولِهَا؛ فَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ لَا يَقُومُ وَلَا يَسْتَقِيمُ إِلَّا

عَلَى أَصُولِهِ وَأَعْمَدَتِهِ وَدَعَائِمِهِ وَأَرْكَانِهِ الْعِظَامِ الَّتِي عَلَيْهَا يَقُومُ بِنَاءُ الْإِيمَانِ.

﴿ وَمِنَ الْفَوَائِدِ فِي قَوْلِ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾،

أَنَّ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- شَهِدَ فِيهَا لِرَسُولِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا بِاللَّهِ -عَزَّ

وَجَلَّ- ، وَبِمَا أَمَرَهُمْ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بِالْإِيمَانِ بِهِ، فَقَالَ -عَزَّ وَجَلَّ- : ﴿ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾.



❁ **وَمِنْ فَوَائِدِ هَذِهِ الْآيَةِ:** أَنَّ هَذِهِ الْأُصُولَ مُتَرَابِطَةً مُتَلَازِمَةً، لَا يَنْفَكُ بَعْضُهَا عَنِ الْبَعْضِ الْآخِرِ، فَالْإِيمَانُ بِهَا يَسْتَلْزِمُ الْإِيمَانَ بِبَقِيَّتِهَا، وَالْكَفْرُ بِبَعْضِهَا أَوْ بِوَاحِدٍ مِنْهَا كُفْرٌ بِبَاقِيهَا، مَنْ آمَنَ بِبَعْضِ هَذِهِ الْأُصُولِ فَإِيمَانُهُ يَسْتَلْزِمُ الْإِيمَانَ بِجَمِيعِ الْأُصُولِ، وَالْكَفْرُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأُصُولِ كُفْرٌ بِهَا جَمِيعًا، فَلَا يَكُونُ مُؤْمِنًا مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأُصُولِ الْعِظَامِ وَلَوْ أَصْلًا وَاحِدًا، وَلَوْ شَيْئًا مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهِذِهِ الْأُصُولِ.

◀ **وَعَلَى هَذَا:** فَمَنْ جَحَدَ هَذِهِ الْأُصُولَ جُمْلَةً أَوْ جَحَدَ شَيْئًا مِنْهَا، فَقَدْ كَفَرَ كُفْرًا نَاقِلًا مِنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، لَا يُقْبَلُ مَعَهُ عَمَلٌ، وَلَا يُنْتَفَعُ مَعَهُ بِطَاعَةٍ وَعِبَادَةٍ وَقُرْبَةٍ لِلَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

❁ **وَمِنْ فَوَائِدِ هَذِهِ الْآيَةِ:** أَنَّ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - الَّذِي ذُكِرَ فِي مُقَدِّمَةِ هَذِهِ الْأُصُولِ وَأَوَّلِهَا هُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، **﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ﴾**، وقبلها قول الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - : **﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾**.

فَمُقَدِّمَةُ هَذِهِ الْأُصُولِ وَأَوَّلُهَا هُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وَهُوَ أَصْلُ الْأُصُولِ الْإِيمَانِ وَأَسَاسُ هَذِهِ الْأُصُولِ، فَبَقِيَّةُ الْأُصُولِ الْإِيمَانِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى هَذَا الْأَصْلِ كَالْفَرْعِ لَهُ، وَإِلَيْهِ تَرْجِعُ وَإِلَيْهِ تَعُودُ.

★ ولهذا قال: **﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ﴾**، ثُمَّ أَعَادَ بَقِيَّةَ الْأُصُولِ إِلَى هَذَا الْأَصْلِ، فَهِيَ إِلَيْهِ تَرْجِعُ، **﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾**، فَالْأُصُولُ الْأُخْرَى تَرْجِعُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْأَسَاسُ وَهُوَ أَصْلُهَا وَأَعْظَمُهَا وَأَعْلَاهَا شَأْنًا وَأَرْفَعُهَا مَكَانَةً؛ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

وَتَقْدِيمُهُ أَيْضًا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَعْظَمُ هَذِهِ الْأُصُولِ، وَالتَّقْدِيمُ هُنَا يُفِيدُ الْأَهْتِمَامَ، وَعَطْفُ هَذِهِ الْأُصُولِ عَلَيْهِ وَإِصَافَتُهَا إِلَيْهِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا تَبِعُ لَهُ.



الدرس العاشر: الإيمان بالله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ
تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

📖 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ﴾:

✨ **قَوْلُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ:** الْإِيمَانُ بِاللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -، فَهُوَ الْإِعْتِقَادُ الْجَازِمُ بِأَنَّ اللَّهَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ،
وَمَلِيكَةٌ وَخَالِقُهُ، وَأَنَّ الَّذِي يَسْتَحِقُّ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ أَنْ يُفْرَدَ بِالْعِبَادَةِ مِنْ صَلَاةٍ وَصَوْمٍ وَدُعَاءٍ وَرَجَاءٍ
وَخَوْفٍ وَذُلٍّ وَخُضُوعٍ، وَأَنَّ أَتَّصَفَ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ كُلِّهَا الْمُنَزَّهَ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ.

✨ **وَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ يَتَّصِفُ بِأَرْبَعَةِ أُمُورٍ:**

١- الْإِيمَانُ بِوُجُودِهِ.

٢- وَالْإِيمَانُ بِرُبُوبِيَّتِهِ.

٣- وَالْإِيمَانُ بِاللَّوْهِيَّةِ.

٤- وَالْإِيمَانُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

✍ **وَمَعْنَى تَوْحِيدِ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -:** اعْتِقَادُ تَفْرُدِهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِالرَّبُوبِيَّةِ وَاللَّوْهِيَّةِ وَصِفَاتِ
الْكَمَالِ وَأَسْمَاءِ الْجَلَالِ.

📖 **فَمَقَامُ تَوْحِيدِ الرَّبُوبِيَّةِ الْإِقْرَارُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى الْخَالِقُ الْمَالِكُ الْمُدَبِّرُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ
وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وَهُوَ بَعِبَارَةٌ أُخْرَى تَوْحِيدُ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بِأَفْعَالِهِ.**



فَقَدْ بَيَّنَّ الْقُرْآنُ هَذَا النَّوعَ مِنَ التَّوْحِيدِ غَايَةَ الْإِيضَاحِ، وَلَا تَكَادُ سُورَةٌ مِنْ سُورِ الْقُرْآنِ تَخْلُو مِنْ ذِكْرِهِ أَوْ الْإِشَارَةِ إِلَيْهِ، فَهُوَ كَالْأَسَاسِ بِالنِّسْبَةِ لِأَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ، وَهَذَا التَّوْحِيدُ لَمْ يَكُنْ مَحَلَّ نِزَاعٍ بَيْنَ الرُّسُلِ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وَمُعَارِضِيهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَهُمْ مُقَرَّرُونَ بِأَنَّ اللَّهَ الْخَالِقَ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

وَإِنَّمَا النِّزَاعُ وَالْخِلَافُ فِي تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، حَقُّ اللَّهِ الْأَعْظَمُ وَمَقَامُ الْعُبُودِيَّةِ الْأَكْبَرُ هُوَ تَوْحِيدُ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- بِأَفْعَالِ الْعِبَادِ. فَتَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ مَبْنِيٌّ عَلَى إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، بِحَيْثُ لَا يَكُونُ شَيْءٌ مِنْهَا لِغَيْرِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-. فَاَلْمُؤْمِنُ الْحَقُّ لَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ، فَيَمْتَلِئُ قَلْبُهُ إِخْلَاصًا وَمَحَبَّةً وَخَوْفًا وَرَجَاءً وَدُعَاءً وَتَوَكُّلاً وَطَاعَةً وَتَذَلُّلاً وَخُضُوعًا لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

كَمَا قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: (وَهَذَا التَّوْحِيدُ هُوَ الْفَارِقُ بَيْنَ الْمُؤَحِّدِينَ وَالْمُشْرِكِينَ)، وَعَلَيْهِ يَقَعُ الْجَزَاءُ وَالثَّوَابُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةَ، فَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِ كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنْ أَجْلِهِ أَرْسَلَ اللَّهُ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَتْ الْكُتُبَ، فَمَا مِنْ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى الْعِبَادِ إِلَّا وَكَانَ هَذَا التَّوْحِيدُ أَسَاسَ دَعْوَتِهِ وَجَوْهَرِهَا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

﴿ وَذَكَرَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- مِنْهُمْ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ، فَمَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- إِلَى قَوْمِهِ إِلَّا وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى هَذَا التَّوْحِيدِ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥].



وَلَمَّا كَانَ هَذَا التَّوْحِيدُ هُوَ حَقِيقَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ، فَقَدْ كَانَتْ الشَّهَادَتَانِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) أَوَّلَ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ هَذَا الدِّينِ.

﴿قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - : «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ» الْحَدِيثَ.

وَعَلَى هَذَا مِنْ حَيْثُ الْإِجْمَالِ؛ ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - خَمْسَ عِبَادَاتٍ لَا يَجُوزُ صَرْفُهَا إِلَّا لِلَّهِ، وَمَنْ صَرَفَهَا لِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ كُفْرًا أَكْبَرَ مُخْرِجًا مِنَ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

الْعِبَادَاتِ الْأَعْتِقَادِيَّةِ، وَالْعِبَادَاتِ الْقَلْبِيَّةِ، وَالْعِبَادَاتِ الْقَوْلِيَّةِ، وَالْعِبَادَاتِ الْعَمَلِيَّةِ، وَالْعِبَادَاتِ الْمَالِيَّةِ.

فَإِذَا حَقَّقَ الْعَبْدُ مَقَامَ التَّوْحِيدِ لِلَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوْهِيَّةِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ؛ فَحَدَّثَ عَنْ بَرَكَةِ هَذَا التَّوْحِيدِ وَثَمَارِهِ وَفَضَائِلِهِ عَلَى الْعَبْدِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

❖ فَمِنْ أَعْظَمِ فَضَائِلِ مَقَامِ التَّوْحِيدِ فِي حَيَاةِ الْمُؤْمِنِينَ: أَنَّهُ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ، حَيْثُ هَدَاهُمْ إِلَيْهِ، كَمَا جَاءَ فِي سُورَةِ النَّحْلِ الَّتِي تُسَمَّى سُورَةَ النَّعْمِ، فَاللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - قَدَّمَ نِعْمَةَ التَّوْحِيدِ عَلَى كُلِّ نِعْمَةٍ، فَقَالَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

❖ وَمِنْ فَضَائِلِ التَّوْحِيدِ: أَنَّهُ الْغَايَةُ مِنْ خَلْقِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَالْغَايَةُ مِنْ أَنْزَالِ الْكُتُبِ وَإِرْسَالِ الرُّسُلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].



❖ وَمِنْ فَضَائِلِهِ: أَنَّهُ السَّبَبُ الْأَعْظَمُ فِي تَفْرِيجِ كَرْبَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَدَفْعِ عُقُوبَتَيْهِمَا، كَمَا فِي قِصَّةِ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

❖ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ ظُلُمَاتُ ثَلَاثٍ:

- ١- ظُلْمَةُ اللَّيْلِ.
- ٢- وَظُلْمَةُ الْبَحْرِ.
- ٣- وَظُلْمَةُ بَطْنِ الْحَوْتِ.

فَنَادَى فِي هَذِهِ الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، فَجَاءَهُ اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى فَضْلِ التَّوْحِيدِ وَمَكَاتِهِ.

❖ وَمِنْ فَضَائِلِ مَقَامِ التَّوْحِيدِ: أَنَّهُ يَمْنَعُ مِنَ الْخُلُودِ فِي النَّارِ إِذَا كَانَ فِي الْقَلْبِ مِنْهُ أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ.

❖ وَمِنْ فَضَائِلِهِ إِجْمَالًا: أَنَّهُ السَّبَبُ الْأَعْظَمُ لِنَيْلِ رِضَا اللهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَثَوَابِهِ.

❖ وَمِنْ فَضَائِلِهِ: أَنَّ أَسْعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ.

❖ وَمِنْ فَضَائِلِهِ - وَكَيْسَ هَذَا مَقَامَ الْحَضَرِ -: أَنَّهُ يُسَهِّلُ عَلَى الْعَبْدِ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرَكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَيُسَلِّيهُ عَلَى الْمُصِيبَاتِ؛ فَالْمُخْلِصُ لِلَّهِ فِي إِيمَانِهِ وَتَوْحِيدِهِ تَخَفُّ عَلَيْهِ الطَّاعَاتُ لِمَا يَرْجُوهُ مِنْ ثَوَابِ رَبِّهِ وَرِضْوَانِهِ، وَيَهُونُ عَلَيْهِ تَرْكُ مَا تَهْوَاهُ النَّفْسُ مِنَ الْمَعَاصِي لِمَا يَخْشَى مِنْ سَخَطِهِ وَعَظِيمِ عِقَابِهِ.



فَنَسْأَلُ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أَنْ يَرْزُقَنَا وَإِيَّاكُمْ إِيمَانًا كَامِلًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، وَتَوْبَةً نَصُوحَةً.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



الدرس الحادي عشر: الإيمان بالأسماء والصفات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

✽ مَرَّبْنَا فِي الدَّرْسِ الْمَاضِي أَنَّ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يَتَّصِفُ بِأَرْبَعَةِ أُمُورٍ:

١ - الْإِيمَانُ بِوُجُودِهِ.

٢ - وَرُبُوبِيَّتِهِ.

٣ - وَالْوَهْيِيَّةِ.

٤ - وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

وَالْيَوْمَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ - سَتَتَحَدَّثُ عَنْ الْإِيمَانِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - وَصِفَاتِهِ.

﴿ فَمَنْهَجُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ: إِثْبَاتُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ إِثْبَاتٌ وَجُودٌ لَا إِثْبَاتَ

تَحْدِيدٌ وَتَكْيِيفٌ.﴾



✍ **فَمِنْ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ:** أَنْ يَقْطَعَ الطَّمَعُ مِنْ قُلُوبِنَا وَمِنْ عُقُولِنَا وَمِنْ أَفْكَارِنَا فِي مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ الصِّفَاتِ. وَمَعْنَاهُ بَعْبَارَةٌ إِجْمَالِيَّةٌ: الْأَعْتَادُ الْجَازِمُ بِأَنَّ اللَّهَ مُتَّصِفٌ بِجَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَمُتَنَزَّهٌ عَنْ جَمِيعِ صِفَاتِ النَّقْصِ، وَأَنَّهُ مُتَّفَرِّدٌ بِهَذَا عَنْ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ؛ وَذَلِكَ بِإِثْبَاتِ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِنَفْسِهِ، أَوْ أَثْبَتَهُ رَسُولُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ أَلْفَاظِيٍّ أَوْ مَعَانِيٍّ، وَلَا تَعْطِيلِهَا بِنَفْسِهَا أَوْ نَفْيِ بَعْضِهَا عَنِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا -، وَلَا تَكْيِيفِهَا بِتَحْدِيدِ كُنْهَهَا وَإِثْبَاتِ كَيْفِيَّةِ مُعَيَّنَةٍ لَهَا، وَلَا تَشْبِيهِهَا بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ.

✍ **وَوَاضِحٌ مِنْ هَذَا التَّعْرِيفِ** أَنَّ تَوْحِيدَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ يَقُومُ عَلَى ثَلَاثَةِ أُسُسٍ، **مَنْ حَادَّ عَنْهَا لَمْ يَكُنْ مُوَحِّدًا رَبَّهُ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ:**

✳ **الْأَوَّلُ:** تَنْزِيهِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - عَنْ مُشَابَهَةِ الْخَلْقِ عَنْ أَيِّ نَقْصٍ.

✳ **الثَّانِي:** الْإِيمَانُ بِالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الثَّابِتَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

✳ **الثَّلَاثُ:** قَطْعُ الطَّمَعِ عَنْ إِدْرَاكِ كَيْفِيَّةِ هَذِهِ الصِّفَاتِ.

◀ **أَمَّا الْأَسَاسُ الْأَوَّلُ:** فَهُوَ تَنْزِيهِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - عَنْ أَنَّهُ يُشَبَّهُ بِصِفَاتِهِ شَيْئًا مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ.

وَهَذَا الْأَصْلُ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ [الشورى: ١١]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿ **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ [الإخلاص: ٤]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ** ﴾ [النحل: ٧٤].

✍ **وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْأَسَاسِ** تَنْزِيهِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - عَنْ كُلِّ مَا يُنَاقِضُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.



فَتَوْحِيدُ اللَّهِ فِي صِفَاتِهِ يَقْتَضِي مِنَ الْمُسْلِمِ أَنْ يُنْزِعَهُ رَبَّهُ عَنِ الزَّوْجَةِ، وَالشَّرِيكِ، وَالْكَفِّءِ، وَالضَّعْفِ، وَالشَّفِيعِ بَدُونِ إِذْنِ اللَّهِ، وَالْوَلِيِّ مِنَ الذَّلِّ، وَيَقْتَضِي أَنْ يُنْزِعَهُ عَنِ النَّوْمِ وَالْإِعْيَاءِ وَالتَّعَبِ وَالْمَوْتِ وَالْجَهْلِ وَالظُّلْمِ وَالْغَفْلَةِ وَالنَّسْيَانَ وَالتَّحْيِيزَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ النَّقْصِ.

﴿ **أَمَّا الْأَسَاسُ الثَّانِي:** فَيَقْتَضِي وَجُوبَ الْاِقْتِصَارِ فِيمَا ثَبَتَ لِلَّهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ عَلَى مَا وَرَدَ مِنْهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَوْ فِي السُّنَّةِ الثَّابِتَةِ، فَهِيَ تُتَلَقَّى عَنْ طَرِيقِ السَّمْعِ لَا بِالْأَرَاءِ، فَلَا يُوصَفُ اللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَلَا يُسَمَّى إِلَّا بِمَا سَمَى بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ سَمَّاهُ بِهِ رَسُولُهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَعْلَمَ بِنَفْسِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ **أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ** ﴾ [البقرة: ١٤٠].

✍ **وَيَقْتَضِي هَذَا الْأَسَاسُ مِنْ كُلِّ عَبْدٍ مُكَلَّفٍ** أَنْ يُؤْمِنَ بِمَا وَرَدَ مِنَ الصِّفَاتِ وَالْأَسْمَاءِ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَيُجْرِبَهَا عَلَى مَعَانِيهَا الْوَاضِحَةِ الظَّاهِرَةِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ، وَلَا يُعْطِّلُهَا أَيُّ: يَجْحَدُهَا أَوْ يَنْفِي بَعْضَهَا عَنِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، وَلَا يُحَرِّفُهَا عَنْ مَعَانِيهَا.

﴿ **أَمَّا الْأَسَاسُ الثَّلَاثُ:** فَيَقْتَضِي مِنَ الْعَبْدِ الْمُكَلَّفِ أَنْ يُؤْمِنَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ وَالْأَسْمَاءِ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ عَنْ كَيْفِيَّتِهَا، وَلَا بَحْثٍ عَنْ كُنْهَيْهَا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ مَعْرِفَةَ كَيْفِيَّةِ الصِّفَةِ مُتَوَقَّفٌ عَلَى مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ الذَّاتِ؛ لِأَنَّ الصِّفَاتِ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ مَوْصُوفَاتِهَا، وَذَاتُ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- لَا يُسْأَلُ عَنْ كُنْهَيْهَا وَكَيْفِيَّتِهَا، فَكَذَلِكَ صِفَاتُهُ سُبْحَانَهُ لَا يَصِحُّ السُّؤَالُ عَنْ كَيْفِيَّاتِهَا.

﴿ **وَلِذَلِكَ أُثِرَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ أَنَّهُمْ قَالُوا عِنْدَمَا سُئِلُوا عَنْ كَيْفِيَّةِ اسْتِوَاءِ اللَّهِ:** قَوْلُهُمْ: الْاِسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيفُ مَجْهُولٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بَدْعَةٌ.



فَاتَّفَقَ هَؤُلَاءِ السَّلَفُ عَلَى أَنَّ الْكَيْفَ غَيْرُ مَعْلُومٍ لَنَا، وَأَنَّ السُّؤَالَ عَنْهُ بَدْعَةٌ.

هـ فَلَوْ أَنَّ قَائِلًا قَالَ لَنَا: كَيْفَ يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا؟

قِيلَ لَهُ: كَيْفَ هُوَ؟ فَإِذَا قَالَ: لَا أَعْلَمُ كَيْفِيَّتَهُ، قِيلَ لَهُ: وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ نُزُولِهِ، فَالْعِلْمُ بِكَيْفِيَّةِ الصِّفَةِ يَسْتَلْزِمُ الْعِلْمَ بِكَيْفِيَّةِ الْمَوْصُوفِ، وَهُوَ فَرْعٌ وَتَابِعٌ لَهُ، فَكَيْفَ تَطَالِبُنَا بِيَانِ كَيْفِيَّةِ سَمْعِ اللَّهِ وَبَصَرِهِ وَتَكَلُّمِهِ وَاسْتِوَائِهِ وَنُزُولِهِ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ ذَاتِهِ! فَسَأَلُ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أَنْ يُرِينَا وَإِيَّاكُمْ الْحَقَّ حَقًّا وَيَرْزُقَنَا اتِّبَاعَهُ، وَيُرِينَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَيَرْزُقَنَا اجْتِنَابَهُ.



الدرس الثاني عشر: الإيمان بالملائكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

﴿قَالَ اللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿أَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ﴾﴾

[البقرة: ٢٨٥] الآية.

❖ **الإيمان بالملائكة ركنٌ من أركان الإيمان، ووجودهم ثابتٌ بالدليل القطعي الذي لا يمكن أن يلحقه شكٌ. ومن هنا كان إنكارٌ ووجودهم كُفراً بإجماع المسلمين، بل بنص القرآن العظيم.**

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا

بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، هَذَا هُوَ الْإِيمَانُ الْمُجْمَلُ، وَهُوَ الْاِعْتِقَادُ الْجَارِمُ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُ شَكٌّ وَلَا رَيْبٌ بِأَنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً مَوْجُودِينَ مَخْلُوقِينَ مِنْ نُورٍ، وَأَنَّهُمْ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ.

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ﴾﴾.

﴿وَفِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ الْمَشْهُورِ عِنْدَمَا سَأَلَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «الْإِيمَانُ

أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ» الحديث.

أَمَّا الْإِيمَانُ التَّفْصِيلِيُّ: فَتُؤْمِنُ بِمَنْ وَرَدَتْ أَسْمَاؤُهُمْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِالتَّفْصِيلِ.



❖ وَمِنْ هَؤُلَاءِ: رُؤَسَاؤُهُمُ الثَّلَاثَةُ:

١- جبريل .

٢- ميكائيل .

٣- وإسرافيل .

❖ فَجَبْرِيلُ هُوَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِالْوَحْيِ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ .

❖ وَمِيكَائِيلُ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِالْقَطْرِ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ الْأَرْضِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانَ .

❖ وَإِسْرَافِيلُ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ الْخَلْقِ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ .

📖 وَمِمَّنْ وَرَدَ ذِكْرُهُ فِي الْقُرْآنِ مَالِكُ خَازِنِ النَّارِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

أَمَّا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ لَمْ يَرَدْ ذِكْرُهُمْ، فَيَجِبُ أَنْ نُؤْمِنَ بِهِمْ بِصُورَةٍ إِجْمَالِيَّةٍ، وَنُؤْمِنَ بِمَا ذُكِرَ مِنْ أَوْصَافِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].

وَنُؤْمِنُ بِمَلِكِ الْمَوْتِ وَحَمَلَةِ الْعَرْشِ وَالْمَلَائِكَةِ الْمُوَكَّلِينَ بِالنَّارِ، وَهُمْ الزَّبَانِيَةُ وَهُمْ تِسْعَةَ عَشَرَ، وَنُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَةِ الْمُوَكَّلِينَ بِالْجَنَانِ .



✍ **إِنَّ عَقِيدَةَ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِي الْإِيمَانِ بِالْمَلَائِكَةِ قَائِمَةٌ عَلَى الْإِقْرَارِ بِمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ أَوْ السُّنَّةِ، وَلَا يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ، وَلَا يُكَلِّفُ بِالْبَحْثِ عَمَّا لَمْ يُطْلَعْنَا اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - عَلَيْهِ، وَلَا نَخُوضُ فِيهَا لَا نَعْلَمُهُ.**

✨ **فَمِمَّا نَعْلَمُهُ مِنْ خَصَائِصِهِمُ الْخُلُقِيَّةِ:**

✨ **أولاً: أَنَّهُمْ خُلِقُوا قَبْلَ آدَمَ، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].**

✨ **ثانياً: أَنَّ الْمَادَّةَ الَّتِي خُلِقُوا مِنْهَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ».**

فَهِيَ مَخْلُوقَاتٌ نُورَانِيَّةٌ لَيْسَ لَهَا جِسْمٌ مَادِّيٌّ يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا كَالْبَشَرِ فَلَا يَأْكُلُونَ وَلَا يَشْرَبُونَ وَلَا يَنَامُونَ وَلَا يَتَرَوَّجُونَ.

✨ **وَمِنْ خَصَائِصِهِمْ: أَنَّ لَهُمْ أَجْنِحَةً يَتَفَاوَتُونَ فِي أَعْدَادِهَا، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: ١].**

✨ **وَمِمَّا نُؤْمِنُ بِهِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا يَمْلِكُونَ مِنْ خَصَائِصِ الْأُلُوْهِيَّةِ شَيْئًا؛ فَلَا دُعَاءَ وَلَا ذَبْحَ، وَلَا اسْتِعَانَةَ، وَلَا اسْتِعَاثَةَ بِهِمْ، بَلْ هُمْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، عَلاَقَتُهُمْ بِاللَّهِ عَلاَقَةُ الْعُبُودِيَّةِ الْخَالِصَةِ وَالطَّاعَةِ وَالْإِمْتِثَالِ وَالْخُضُوعِ الْمَطْلُوقِ لِأَمْرِهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ، لَا يَنْتَسِبُونَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ إِلَّا بِهَذِهِ النُّسْبَةِ، فَهُمْ لَيْسُوا إِلَهَةً وَلَا ذُرِّيَّةً وَلَا بَنَاتٍ، كَمَا قَالَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَبْلُ.**



﴿ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٨].

﴿ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٠].

﴿ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحریم: ٦].

﴿ مِمَّا نُؤْمِنُ بِهِ فِي الْمَلَائِكَةِ: أَنَّ لَهُمْ عَلاَقَةً بِالْإِنْسَانِ، فَإِنَّ لِلْمَلَائِكَةِ أَعْمَالًا أُخْرَى فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ الْإِرَادِيَّةِ، هَدَفُهَا كَمَا حَدَّدَهُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لَهُمْ هِدَايَةَ الْبَشَرِيَّةِ وَإِسْعَادُهُمْ وَمُسَاعَدَتُهُمْ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَعَوْنُهُمْ عَلَى اخْتِيَارِ الْهُدَى وَالصَّلَاحِ، وَاجْتِنَابِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ وَالضَّلَالِ.

﴿ فَمِمَّا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَهُمْ لِلدُّعَاءِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْإِسْتِغْفَارِ لَهُمْ، ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [غافر: ٧].

﴿ آثار الإيمان بالملائكة:

﴿ للإيمان بالملائكة آثارٌ عظيمةٌ في حياة المؤمن:

﴿ مِنْهَا: أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - جَنَّبَنَا - بِمَا أَطَّلَعْنَا عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْأَرْوَاحِ الْمُؤْمِنَةِ وَأَفْعَالِهَا - الْوُفُوعَ فِي الْخُرَافَاتِ وَالْأَوْهَامِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ، وَلَا يَتَلَقَّوْنَ مَعَارِفَ مَعَانِي الْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ.



❖ وَمِنْ آثَارِ الْإِيمَانِ بِالْمَلَائِكَةِ: الاستقامة على أمر الله؛ فإن المؤمن عندما يستشعر بقلبه وجود الملائكة جنود الرحمن، ويؤمن برقابتهم على أعماله وأقواله وشهادتهم على كل ما يصدر عنه، فيستحي من الله ومن جنوده، فلا يخالفه ولا يعصيه لا في العلانية ولا في السر، إذ كيف له ذلك وهو يعلم أن كل شيء محسوب ومكتوب ومشهود عليه!

❖ وَمِنْ آثَارِ الْإِيمَانِ بِالْمَلَائِكَةِ: عندما يضل الركب عن الطريق، ويجد المؤمن الصادق مع الله -تبارك وتعالى- غربة في دينه، فيرى من حوله التخبط والتشيط عن طاعة الله والاستقامة على أمره، في هذه الغربة يجد أنيساً ورفيقاً يصحبه ويرافقه ويواسيه ويصبره ويطمئنه، ويشجعه على مواصلة السير على درب الهدى.

فهذه جنود الله معه تعبد الله كما يعبد، وتتجه إلى خالق السماوات والأرض كما يتجه، وتبارك خطواته، وتشد من أزره، وتذكره بالخير عند ربه. فهو إذا لیس وحده في الطريق إلى الله، ولكنه يسير مع الركب العظيم، ومع الأكثرية من مخلوقات الله مع الملائكة الكرام، ومع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ومع السماوات والأرض، فهو الأكثر رفقاً وهو الأقوى سنداً.

فتجعل هذه المشاعر الصادقة المؤمن صابراً مطمئناً، لا يزيده صمود الناس إلابتاتاً وجهاداً. فانظر -يا رعاك الله- كم أنعم الله علينا بخلق الملائكة! وكم أنعم علينا بالإيمان بهم بما له أشد الأثر في قلوبنا وأعمالنا واستقامة حياتنا!

والإيمان بهم تصديق بكلام الله -جل وعلا- وبرسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد.



الدرس الثالث عشر : الإيمان بالكتب

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

✦ **الْإِيمَانُ بِالْكِتَابِ أَصْلٌ مِنْ أَصُولِ الْإِيمَانِ**، وَرُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ هَذَا الدِّينِ، دَلَّ عَلَى ذَلِكَ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قَالَ تَعَالَى: ﴿ **هُدَى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [البقرة: ٢-٥].

﴿ **وَفِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ الْمَشْهُورِ سَأَلَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ: «الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ».** ﴾

﴿ **فَعَلَى هَذَا فَالْإِيمَانُ بِالْكِتَابِ هُوَ اعْتِقَادُ أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى كُتُبًا أَنْزَلَهَا عَلَى رَسُولِهِ هِدَايَةً لِعِبَادِهِ، مُتَّصِمَةً لِأَصُولِ دِينِهِ وَقَوَاعِدِ شَرِيعَتِهِ وَكُلِّيَّاتِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي يُحِبُّهَا اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - وَيَرْضَاهَا.** ﴾

✦ **وَهُنَا مَسَائِلٌ تَخْتَصِرُ لَنَا مَا يَجِبُ عَلَيْنَا تَجَاهَ هَذَا الرُّكْنِ الْعَظِيمِ:**

بِمَاذَا يَتَحَقَّقُ الْإِيمَانُ بِالْكِتَابِ؟

✦ **الْإِيمَانُ بِالْكِتَابِ** إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُجْمَلًا، فَنُؤْمِنُ أَنَّ اللَّهَ مَا بَعَثَ رَسُولًا مِنْ الرُّسُلِ إِلَّا وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا.

﴿ **قَالَ تَعَالَى: ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ** ﴾ [الحديد: ٢٥] ، وَهَذَا الْإِيمَانُ**

الْإِجْمَالِيُّ.



✽ **أَمَّا الْإِيمَانُ التَّفْصِيلِيُّ** فَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى التَّوْرَةَ، وَعَلَى عِيسَى الْإِنْجِيلَ، وَعَلَى دَاوُدَ الزَّبُورَ، وَعَلَى إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى الصُّحُفَ، وَعَلَى نَبِيَّنَا -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- الْقُرْآنَ. فَنَعْتَقِدُ اعْتِقَادًا جَازِمًا أَنَّهَا كَلَامُ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، تَكَلَّمَ بِهَا حَقِيقَةً كَمَا شَاءَ بِكَيْفِيَّةٍ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، تَكَلَّمَ بِهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ لَيْسَ غَيْرُ اللَّهِ، أَيْمَنُ أَنْ يَكُونَ غَيْرُ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ الَّذِي قَالَ: يَا مُوسَى إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ! أَيْمَنُ أَنْ يَكُونَ غَيْرُ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ الَّذِي قَالَ: يَا مُوسَى إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ! لَا يُمْكِنُ. فَالْقُرْآنُ وَالتَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ وَجَمِيعُ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ كُلُّهَا كَلَامُ اللَّهِ، تَكَلَّمَ بِهَا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وَأَنْزَلَ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَحَيًّا، وَحَفِظَهُ أَنْبِيَائُهُ وَحَافَظُوا عَلَيْهِ وَبَلَّغُوهُ الْبَلَاغَ الْمُبِينَ؛ كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بِذَلِكَ.

✽ **وَلِذَا** فَالْقُرْآنُ سِوَاءَ حِفْظِ فِي الصُّدُورِ، أَوْ كُتِبَ فِي السُّطُورِ، أَوْ سَمِعَتْهُ الْأَذَانُ، أَوْ تَلِيَ فِي الْمَحَارِبِ؛ أَيْنَمَا تَوَجَّهَ فَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، فَكَلَامُ اللَّهِ يُضَافُ إِلَى مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ ابْتِدَاءً لَا إِلَى مَنْ نَقَلَهُ أَدَاءً.

📖 قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢].

📖 **وَمِمَّا نُؤْمِنُ بِهِ** أَنَّ جَمِيعَ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مُتَّفِقَةٌ عَلَى عَقِيدَةٍ وَاحِدَةٍ جَاءَتْ وَاضِحَةً الْمَعْنَى، فَالْعَقِيدَةُ فِي الْقُرْآنِ هِيَ الْعَقِيدَةُ الَّتِي فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى، فَمَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا وَهُوَ يَقُولُ لِقَوْمِهِ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

أَمَّا أَحْكَامُ الشَّرْعِ فَهِيَ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ [المائدة: ٤٨].



﴿ وَمَعَ هَذَا الْإِيمَانِ الْمُجْمَلِ إِلَّا أَنَّ الْمُتَقَرَّرَ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ الْكُتُبَ الْمُنَزَّلَةَ دَخَلَهَا تَحْرِيفٌ،
فَمَا الَّذِي يَجِبُ عَلَيْنَا نَحْوَ هَذِهِ الْكُتُبِ! هَذَا هُوَ مَوْضُوعُ الدَّرْسِ الْقَادِمِ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ.﴾



الدرس الرابع عشر : كيف نتعامل مع التوراة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

✦ بَيْنَا فِي الدَّرْسِ الْمَاضِي أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْكِتَابِ:

✦ إِمَّا أَنْ يَكُونَ إِيْمَانًا مُجْمَلًا؛ فَنَعْتَقِدُ أَنَّهُ مَا مِنْ نَبِيٍّ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَّا وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا.

✦ وَالنَّوْعُ الثَّانِي مِنَ الْإِيمَانِ بِالْكِتَابِ: الْإِيمَانُ التَّفْصِيلِيُّ؛ الْإِيمَانُ بِالتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى، وَأَنْ نُؤْمِنَ بِالقُرْآنِ الْعَظِيمِ.

إِلَّا أَنَّا قَرَّرْنَا أَنَّ هَذِهِ الْكِتَابَ عَدَا الْقُرْآنَ الْكَرِيمِ قَدْ حُرِّفَتْ، فَمَا الَّذِي يَجِبُ عَلَيْنَا نَحْوَ هَذِهِ الْكِتَابِ؟

نَحْنُ أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- شَرِيعَتَنَا وَدِينُنَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالْقُرْآنَ الْكَرِيمَ نَاسِخٌ لِجَمِيعِ الْكِتَابِ الَّتِي قَبْلَهُ، نَاسِخٌ لِلتَّوْرَةِ، وَنَاسِخٌ لِالْإِنْجِيلِ.

﴿ وَلِهَذَا جَاءَ مَرَّةً عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وَكَانَ بِيَدِهِ قِطْعَةٌ مِنَ التَّوْرَةِ، وَقَرَأَ عَلَى النَّبِيِّ -

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- شَيْئًا مِمَّا فِيهَا، فَقَالَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي

يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ لَا يُؤْمِنُ بِالَّذِي جِئْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ النَّارَ.»



كَمْ فَالْوَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُقْبَلَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ، أَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِتِلْكَ الْكُتُبِ فَهُوَ عَلَى أَقْسَامٍ بَيْنَهَا الْعُلَمَاءُ :

- ١ - إِمَّا أَنْ يَكُونَ حَقًّا دَلَّ الْقُرْآنُ عَلَى صِدْقِهِ . فَحَنْ نَقُولُ : إِنَّهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ شَهِدَ لَهُ بِالْصِّدْقِ .
- ٢ - وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ كَذِبًا دَلَّ الْقُرْآنُ عَلَى أَنَّهُ كَذِبٌ . وَالْكَتُبُ الْمُحَرَّفَةُ مَلِيئَةٌ بِالْكَذِبِ ، وَالْكَذِبُ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى أَنْبِيَائِهِ وَعَلَى دِينِهِ وَعَلَى شَرْعِهِ وَعَلَى عِبَادِهِ ، فَمَا دَلَّ كِتَابُنَا عَلَى أَنَّهُ كَذِبٌ نَجْزِمُ وَنَقْطَعُ أَنَّهُ كَذَبٌ بِشَهَادَةِ كِتَابِ رَبِّنَا بِذَلِكَ .

❁ وَالْأَمْرُ الثَّلَاثُ : أُنَّا نَتَوَقَّفُ فِيمَا لَا نَدْرِي هَلْ هُوَ صِدْقٌ أَوْ كَذِبٌ . فَهَذِهِ أُمُورٌ أُخْرَى فِي التَّوْرَةِ وَفِي الْإِنْجِيلِ ، وَفِي تِلْكَ الْكُتُبِ أُمُورٌ أُخْرَى لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ مَا يُصَدِّقُهَا ، وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ مَا يُكَذِّبُهَا ، فَهَذِهِ نَتَوَقَّفُ فِيهَا .

وَلَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَشْغَلَ نَفْسَهُ بِقِرَاءَةِ تِلْكَ الْكُتُبِ ، خَاصَّةً أَنَّ الْآنَ فِيمَا يُسَمَّى بِعَصْرِ الْإِنْفِتَاحِ عَبْرَ الْقَنَوَاتِ وَعَبْرَ الْإِنْتَرْنِتِ وَوَسَائِلِ الْإِتِّصَالِ تَيْسَّرَ لِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ الْوُقُوفُ عَلَى تِلْكَ الْكُتُبِ وَغَيْرِهَا ، فَالْوَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَصُونَ وَقْتَهُ ، وَأَنْ يَحْفَظَ نَفْسَهُ ، وَأَلَّا يُدْخَلَ عَلَى نَفْسِهِ الضَّلَالَةَ وَالشُّبُهَاتِ وَالْبَاطِلَ .

﴿ إِذَا كَانَ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - قَالَ لِعُمَرَ : « أَمْتُهُو كُونُ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ! » ، فَكَيْفَ بِمَنْ لَا فِقَّةَ عِنْدَهُ وَلَا عِلْمَ عِنْدَهُ ! كَيْفَ يَسُوغُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَقْرَأَ فِي تِلْكَ الْكُتُبِ !



﴿ **وَلِهَذَا تُطْرَحُ وَتُتْرَكُ وَلَا يُقْرَأُ فِيهَا، وَإِنَّمَا يُقْرَأُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، نَعَمَ الْعُلَمَاءُ الْكِبَارُ إِذَا احتَاجَ الْمَقَامُ**
لِلرَّدِّ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَلِيَبَيِّنَ الْاضْطِرَابَ وَالتَّنَاقُضَ، فَإِنَّهُمْ يَقْرَؤُونَ تِلْكَ الْكُتُبَ لِهَذَا الْغَرَضِ،
وَالسَّلْفُ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - لَهُمْ مَوْلَفَاتٌ مِنْ أَشْهَرِهَا كِتَابُ [الْجَوَابُ الصَّحِيحُ لِمَنْ بَدَّلَ دِينَ الْمَسِيحِ] ،
وَكُتُبُ أُخْرَى لِابْنِ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - .

فَنَحْوُ هَذِهِ الْكُتُبِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - مَا فِي هَذِهِ الْكُتُبِ مِنَ التَّحْرِيفَاتِ، فَكَانَ قِرَاءَتُهُمْ مِنْ بَابِ
تَحْذِيرِ الْمُسْلِمِينَ مِمَّا فِيهَا مِنَ التَّنَاقُضِ .

وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ .



الدرس الخامس عشر: القرآن ناسخ لما سبق

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

❖ **وَأَخْتِمُ فِي دَرَسِ الْإِيمَانِ بِالْكِتَابِ** أَنَّ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ أَنْ نُؤْمِنَ بِأَنَّهَا حُتِمَتْ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ نَاسِخٌ لِجَمِيعِ مَا سَبَقَ مِنَ الْكِتَابِ، وَيَكُونُ الْإِيمَانُ بِهِ إِيْمَانًا خَاصًّا مُخْتَلِفًا عَنِ الْإِيمَانِ الْإِجْمَالِيِّ وَالْإِيمَانِ التَّفْصِيلِيِّ بِالْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ لِلْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِيْمَانًا خَاصًّا.

فَمَنْ بِأَنَّهُ خَاتِمَةُ الْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ وَآخِرُهَا وَأَعْظَمُهَا وَأَجْلُّهَا، وَتَعَبَّدُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بِتِلَاوَتِهِ وَقِرَاءَتِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ، وَنَعْتَنِي بِتِلَاوَتِهِ ❖ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ** ❖ [البقرة: ١٢١]، وَالتَّلَاوَةُ تَتَنَاوَلُ الْحِفْظَ، وَتَتَنَاوَلُ الْفَهْمَ، وَتَتَنَاوَلُ الْعَمَلَ بِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ.

نُصَدِّقُ أَخْبَارَهُ، وَنَعْمَلُ بِأَمْرِهِ، وَنَنْتَهِي عَنْ نَوَاهِيهِ، نُؤْمِنُ بِمُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، وَنَرُدُّ مَا تَشَابَهَ عَلَيْنَا مِنْهُ إِلَى الْمُحْكَمِ، ❖ **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ** ❖ [آل عمران: ٧]، فَمَا تَشَابَهَ مِنْ آيَةٍ رُدَّ إِلَى الْمُحْكَمِ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

هَذَا شَأْنُ الْمُسْلِمِ مَعَ الْقُرْآنِ، هُوَ يُعْظِمُ كِتَابَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَيَعْتَنِي بِهِ؛ قِرَاءَةً وَحِفْظًا وَفَهْمًا وَعَمَلًا وَتَطْبِيقًا، وَيَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ كِتَابُ الْهُدَايَةِ لِلنَّاسِ، وَالْخَلَاصِ لِلْبَشَرِيَّةِ مِنَ الضَّلَالِ وَالزَّيْغِ وَالْانْحِرَافِ، وَشِفَاءٍ لِلصُّدُورِ مِنَ الْأَسْقَامِ وَالْأَمْرَاضِ، وَمِنْ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ.



﴿ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُنزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [فصلت: ٤٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

فَيَعْتَنِي الْمُسْلِمُ بِكِتَابِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - الَّذِي مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ هُدًى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، مَنْ اعْتَصَمَ بِالْقُرْآنِ عَصِمَ مِنَ الضَّلَالِ، وَسَلِمَ مِنَ الزَّيغِ، وَكُتِبَ لَهُ الْهُدَايَةُ وَالْفَلَاحُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

﴿ وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ الْإِيمَانُ بِالسُّنَّةِ، وَمَنْ لَا يُؤْمِنُ بِالسُّنَّةِ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ بِالْقُرْآنِ، وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وَالسُّنَّةُ شَارِحَةٌ لِلْقُرْآنِ وَمُفَسِّرَةٌ لَهُ وَمُبَيِّنَةٌ لَهُ، وَمَوْضِحَةٌ لِمَجْمَلِهِ.

أَمَرَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بِالصَّلَاةِ فِي الْقُرْآنِ، فَجَاءَتِ السُّنَّةُ بَيَانِ أَرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا وَوَأَجِبَاتِهَا. وَلِهَذَا قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»^(١). فِي الْقُرْآنِ أَمْرٌ بِالْحَجِّ، تَفَاصِيلُ الْحَجِّ وَأَرْكَانُهُ وَشُرُوطُهُ وَوَأَجِبَاتُهُ جَاءَ بَيَانُهَا فِي السُّنَّةِ، قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «لِتَأْخُذُوا عَنِّي مَنَاسِكُكُمْ»^(٢). وَكَذَلِكَ أُمُورُ الدِّينِ الْأُخْرَى كُلُّهَا مَا جَاءَ مِنْهَا فِي الْقُرْآنِ مُجْمَلًا جَاءَ بَيَانُهُ فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - الَّتِي هِيَ شَارِحَةٌ وَمُبَيِّنَةٌ لِلْقُرْآنِ.

(١) أخرجه البخاري (٦٠٠٨)، ومسلم (٦٧٤)
(٢) صحيح الجامع، ٥٠٦١



﴿ ولهذا صح عنه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(٥)، فَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِالسُّنَّةِ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ بِالْقُرْآنِ، بَلْ هُوَ كَافِرٌ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. الْقُرْآنُ مَلِيٌّ بِالْآيَاتِ الَّتِي فِيهَا الْأَمْرُ بِالْأَخْذِ بِالسُّنَّةِ، وَالتَّمَسُّكِ بِهَا، وَالتَّمَسُّكِ بِهَدْيِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -.

﴿ ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال: «تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي»^(٦). وَكَانَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - إِذَا خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللهِ وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -»^(٧).

فَجَمَعَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بَيْنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَكَانَ يُرَدِّدُ هَذَا فِي كُلِّ خُطْبَةٍ، فِي كُلِّ خُطْبَةٍ جُمُعَةٍ يَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللهِ وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(٨).

نَسَأَلَ اللهُ الْكَرِيمَ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا أَنْ يُبَارِكَ لَنَا أَجْمَعِينَ فِي كِتَابِهِ، وَأَنْ يُوفِّقَنَا لِلتَّمَسُّكِ بِهِ، وَالتَّمَسُّكِ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَأَنْ يُصَلِّحَ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِنَا، وَأَنْ يُصَلِّحَ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشِنَا، وَأَنْ يُصَلِّحَ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا.

وَاللهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ.

(٥) أخرجه البخاري (٢٦٩٧) بنحوه، ومسلم (١٧١٨)
 (٦) أخرجه الدارقطني في "السنن" (٢٤٥/٤)، والبخاري في "المسنن" (٨٩٩٣)، والحاكم في "المستدرک" (٣١٩)، وأبو بكر الشافعي في "الغيلانيات" (٦٣٢)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٢٠٣٣٧)،
 (٧) أخرجه النسائي في "المجتبى" (١٨٨/٣)، وأحمد (٣١٠/٣) باختلاف يسير.
 (٨) التخریج السابق.



الدرس السادس عشر: الإيمان بالرسول

الإِيمَانُ بِالرُّسُلِ هُوَ الرُّكْنُ الرَّابِعُ مِنْ أَرْكَانِ الإِيمَانِ، فَلَا يَصِحُّ إِيمَانُ الْعَبْدِ إِلَّا بِهِ. وَالْأَدِلَّةُ الشَّرْعِيَّةُ مُتَوَاتِرَةٌ عَلَى تَأْكِيدِ ذَلِكَ، فَقَدْ أَمَرَ سُبْحَانَهُ بِالْإِيمَانِ بِهِمْ، وَقَرَنَ ذَلِكَ بِالْإِيمَانِ بِهِ فَقَالَ: ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [النساء: ١٧١].

وَجَاءَ الإِيمَانُ بِهِمْ فِي الْمَرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ التَّعْرِيفِ النَّبَوِيِّ لِلْإِيمَانِ، كَمَا فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ: « **أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ...** » [رواه مسلم]، وَقَرَنَ اللهُ سُبْحَانَهُ الْكُفْرَ بِالرُّسُلِ بِالْكَفْرِ بِهِ، فَقَالَ: ﴿ **وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا** ﴾ [النساء: ١٣٦]، فَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ دَلِيلٌ عَلَى أَهْمِيَّةِ الإِيمَانِ بِالرُّسُلِ، وَمَنْزِلَتِهِ مِنْ دِينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

❖ **الْفَرْقُ بَيْنَ النَّبِيِّ وَالرُّسُولِ:**

﴿ **ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ الرُّسُولَ: مَنْ بُعِثَ بِشَرَعٍ جَدِيدٍ وَأُمِرَ بِتَبْلِيغِهِ، وَالنَّبِيَّ: مَنْ أُمِرَ بِالتَّبْلِيغِ وَلَكِنْ بِشَرَعٍ مِنْ سَبَقَهُ مِنَ الرُّسُلِ، كَحَالِ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كُتِّفُوا بِتَبْلِيغِ شَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.** ﴾

﴿ **مَرَاتِبُ الإِيمَانِ بِالرُّسُلِ:** ﴾

الإِيمَانُ بِالرُّسُلِ لَيْسَ عَلَى مَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ، بَلْ هُنَاكَ الإِيمَانُ الْمُجْمَلُ: وَهُوَ الإِيمَانُ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ عَلَى وَجْهِ الإِجْمَالِ وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ، فَهَذَا وَاجِبٌ عَلَى عُمُومِ الأُمَّةِ لَا يَسَعُ الْمُؤْمِنَ أَنْ يُعْرِضَ عَنْهُ أَوْ يُنْكِرَهُ.

وَهُنَاكَ الإِيمَانُ الْمُفَصَّلُ: وَهُوَ الإِيمَانُ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ وَمَعْرِفَةُ مَا ثَبَتَ فِي الشَّرَعِ عَنْهُمْ؛ مِنْ أَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَتْ عَلَيْهِمْ.



❖ وَالْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ يَتَّصِمُنُ أُمُورًا:

١- التَّصَدِيقُ بِبُيُوتِهِمْ وَبِمَا جَاءُوا بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحديد: ١٩].

٢- عَدَمُ التَّفْرِيقِ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

٣- تَوْقِيرُهُمْ وَتَعْظِيمُهُمْ: قَالَ تَعَالَى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩].

٤- وُجُوبُ الْعَمَلِ بِشَرَائِعِهِمْ: وَذَلِكَ فِي حَقِّ كُلِّ أُمَّةٍ لِنَبِيِّهَا، وَلَا يَخْفَى أَنَّ ذَلِكَ قَبْلَ بَعَثَةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي نَسَخَتْ شَرِيعَتَهُ كُلَّ شَرِيعَةٍ.

٥- اعْتِقَادُ عِصْمَتِهِمْ فِي تَبْلِيغِهِمُ الْوَحْيِ، وَ عِصْمَتِهِمْ مِنَ الْكِبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى خِسَّةِ الطَّبَعِ وَسُفُولِ الْهَمَّةِ.

❖ الْحِكْمَةُ مِنْ إِزْسَالِ الرُّسُلِ:

❖ **الأول:** إِقَامَةُ الْحُجَّةِ عَلَى الْعِبَادِ، وَتَبَشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِنَعِيمِ اللَّهِ وَجَنَّتِهِ فِي الْآخِرَةِ، وَإِنذَارُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِهِ وَعِقَابِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].



✽ ثانياً: تَحْقِيقُ الْقُدْوَةِ وَالْأُسْوَةِ الْعَمَلِيَّةِ، وَهَذِهِ لَهَا فَوَائِدُ:

✽ **الأولى:** دَحْضُ حُجَّةٍ مَنْ قَدْ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي مَقْدُورِهِ تَطْبِيقُ تِلْكَ الشَّرَائِعِ، فَيُقَالُ لَهُ: إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ - وَهُمْ بَشَرٌ أَيْضًا - قَدْ طَبَّقُوا تِلْكَ الشَّرَائِعِ وَمَارَسُوهَا عَمَلِيًّا، فَكَيْفَ يَصِحُّ الْقَوْلُ بِأَنَّ تَطْبِيقَهَا مِمَّا لَا يُسْتَطَاعُ!!

✽ **الفائدة الثانية:** تَحْقِيقُ الْأُسْوَةِ وَالْقُدْوَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي كَيْفِيَّةِ تَطْبِيقِ تِلْكَ الشَّرَائِعِ، وَكَيْفِيَّةِ الْعَمَلِ بِهَا؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأُمُورِ النَّظَرِيَّةِ تَخْتَلِفُ الْأَفْهَامُ فِي تَطْبِيقِهَا، فَيَأْتِي الْفِعْلُ النَّبَوِيُّ فَاصِلًا وَمُبَيِّنًا.

✽ **الفائدة الثالثة:** تَحْقِيقُ الْأُسْوَةِ وَالْقُدْوَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ بِحَثِّهِمْ عَلَى الْإِكْتِسَابِ وَالِاسْتِزَادَةِ مِنْ فِعْلِ الصَّالِحَاتِ، اقْتِدَاءً بِالْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -، الَّذِينَ كَانُوا الْقُدْوَةَ فِي ذَلِكَ بِسَلَامَةِ إِيْمَانِهِمْ وَكَثْرَةِ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ.

✽ **التَّوْحِيدُ مَحَوْرُ دَعْوَةِ الرَّسْلِ:**

تَمَحَوْرُ دَعْوَةِ الرَّسْلِ جَمِيعًا مِنْ لَدُنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى نَبِيِّنَا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَوْلَ قَضِيَّةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَتَرْكُ عِبَادَةِ مَنْ سِوَاهُ. وَهَذَا الْأَمْرُ يُشَكِّلُ لُبَّ دَعْوَةِ الرَّسْلِ وَمَجْمَعِ رِسَالَتِهِمْ.

وَمِنْ خِلَالِ اسْتِعْرَاضِ الْقُرْآنِ لِدَعْوَةِ الرَّسْلِ نَجِدُ أَنَّ هَذِهِ الْقَضِيَّةَ وَاضِحَةٌ جَلِيَّةٌ، مُدَلَّلٌ عَلَيْهَا بِأَدَلَّةٍ كَثِيرَةٍ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا

فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وَالْإِسْلَامُ هُوَ الدِّينُ الَّذِي نَادَى بِهِ جَمِيعُ

الْأَنْبِيَاءِ، فَنُوحٌ يَقُولُ لِقَوْمِهِ: ﴿وَأْمُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢].



وَالْإِسْلَامُ هُوَ الدِّينُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَبَا الْأَنْبِيَاءِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]، وَيُوصِي كُلُّ مَنْ إِبْرَاهِيمَ وَيَعْقُوبَ أَبْنَاءَهُ قَائِلًا: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]. وَأَبْنَاءُ يَعْقُوبَ يُجِيبُونَ أَبَاهُمْ بَعْدَ أَنْ سَأَلَهُمْ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِهِ: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وَمُوسَى ينادي قومه قائلًا: ﴿يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]. وَالْحَوَارِيُّونَ يَقْرَأُونَ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِمْ: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]، وَحِينَ سَمِعَ فَرِيقٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ كَلَامَ اللَّهِ: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٣].

❖ وَاجِبْنَا نَحْوَ الرُّسُلِ:

أَوْجَبَ الشَّرْعُ الْكَرِيمُ عَلَى الْمُسْلِمِ حُقُوقًا، عَلَيْهِ أَنْ يُؤَدِّيَهَا تَجَاهَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، قِيَامًا بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ تَعْظِيمِهِمْ وَتَوْقِيرِهِمْ، وَاعْتِرَافًا بِمَا فَضَّلَهُمْ بِهِ عَلَى سَائِرِ الْخَلْقِ، مِنْ تَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ وَتَبْيِينِ دِينِهِ.

❖ فَمِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ: الْإِيمَانُ بِهِمْ جَمِيعًا، وَعَدَمُ التَّفْرِيقِ بَيْنَهُمْ، بِأَنْ يُؤْمِنَ بَعْضٌ وَيَكْفُرَ بَعْضٌ، كَحَالِ النَّصَارَى الَّذِي آمَنُوا بِعِيسَى وَكَفَرُوا بِمُحَمَّدٍ، أَوْ كَحَالِ الْيَهُودِ الَّذِينَ آمَنُوا بِمُوسَى وَكَفَرُوا بِعِيسَى وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].



❖ وَمِنَ الْحُقُوقِ الْمُتَعَيَّنَةِ عَلَى الْمُسْلِمِ تَجَاهَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ: النَّظَرُ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الْكَمَالِ؛ فَلَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَنْتَقِصَ وَاحِدًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّهُمْ أَدَّوْا رِسَالَةَ اللَّهِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ، وَأَنََّّهُمْ بَلَّغُوا دَرَجَةَ الْكَمَالِ الْبَشَرِيِّ، فَلَا نَقْصَ يَعِيبُهُمْ، وَلَا عَيْبَ يَشِينُهُمْ.

❏ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ - وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ خَيْرُهُمْ - تَوَاضِعًا، وَلِئَلَّا يُتَوَصَّلَ بِالتَّفْضِيلِ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَى انْتِقَاصِ أَحَدٍ مِنْهُمْ.

❖ وَمِنَ الْحُقُوقِ الْمُتَعَيَّنَةِ عَلَى الْمُسْلِمِ تَجَاهَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ: مَحَبَّتُهُمْ جَمِيعًا، وَهَذَا أَمْرٌ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ، وَمَنْ أَبْغَضَ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَقَدْ كَفَرَ.

❖ وَمِنَ حُقُوقِهِمْ دَفْعُ غُلُوِّ الْغَالِينَ فِيهِمْ، كَغُلُوِّ النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ بْنِ مَرْيَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حَيْثُ ادَّعَوْا أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ - تَعَالَى اللَّهُ عَنْ إِفْكَهِمْ -، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

❖ وَمِنَ الْحُقُوقِ الْمُتَعَيَّنَةِ عَلَى الْمُسْلِمِ تَجَاهَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ: دَفْعُ مَا أُصِيقَ بِهِمْ مِنْ تَهْمٍ وَإِشَاعَاتٍ، كَتَلِّكَ الَّتِي رَوَّجَهَا الْيَهُودُ - وَزَعَمُوا أَنَّهَا فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ - حَيْثُ تَصِفُ الْأَنْبِيَاءَ بِأَنَّهُمْ أَهْلُ غَدْرِ وَخِيَانَةٍ، أَوْ أَنَّهُمْ أَهْلُ شَهْوَةٍ وَسُكْرِ!، فَإِنَّ الدَّبَّ عَنْ أَعْرَاضِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ أَمَامَ هَذِهِ التَّهْمِ الْبَاطِلَةِ مِنْ أَوْجِبِ الْوَاجِبَاتِ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ، صِيَانَةٌ لِمَقَامِ الْأَنْبِيَاءِ وَحِفْظًا لِحَقِّهِمْ.

وَمِنَ الْأَدَبِ مَعَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِمْ مُطْلَقًا وَعِنْدَ ذِكْرِهِمْ، فَقَدْ نَقَلَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْإِجْمَاعَ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ ذَلِكَ، مِنْهُمْ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ.

هَذَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِحُقُوقِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ عَلَى الْمُسْلِمِ عَلَى وَجْهِ الْعُمُومِ.



﴿ وَلَا شَكَّ أَنَّ هُنَاكَ حُقُوقًا اخْتَصَّ بِهَا نَبِيِّنَا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :

مِنْ أَعْظَمِهَا وَجُوبٌ مُتَابَعَتِهِ، بِامْتِثَالِ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

كَمَا يَجِبُ اعْتِقَادُ أَنَّ نَبِيَّنَا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هُوَ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنَّ شَرِيعَتَهُ هِيَ خَاتِمَةُ الشَّرَائِعِ، وَأَنَّهُ لَا نَجَاةَ لِأَحَدٍ إِلَّا بِاتِّبَاعِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

